الصِّناعَة

أ.د وليد الجادر

الصناعة أحد الأركان الثلاثة التي قامت عليها الحياة الاقتصادية في العراق القديم بعد الزراعة والتجارة. ومع أن نشاط العراقيين القدماء في الزراعة والتجارة كان يفوق نشاطهم في الصناعة، الاّ انهم مع ذلك، برزوا في الصناعة ووضعوا الأسس العلمية الرصينة للعديد من الصناعات واستغلوا ماكان متيسرا لديهم من مواد لصناعة مختلف الآلات والأدوات والحاجيات. ونظرا لافتقار المنطقة الى بعض المواد الخام، كالأحجار الجيدة والأخشاب والمعادن المختلفة الضرورية لتطور الصناعة، فقد عملوا منذ فترة مبكرة جدا لجلبها من المناطق المجاورة والبعيدة كما سبق أن أشير الى ذلك في الفصل السابق. وكان لبلاد آشور مكانة متميزة في مجال الصناعة، سيما وان اتساع حدود الامبراطورية الآشورية قد يّسر الطريق لجلب الكثير من مواد الخام من أرجاء الامبراطورية المختلفة، ومن البلدان والأقاليم التي كانت على علاقة مع الدولة الآشورية، وفضلا عن ذلك، فقد قام العديد من الملوك الآشوريين بجلب الصنّاع والحرفيين المهرة من أرجاء الامبراطورية للمشاركة في بناء القصور والمعابد ونحت التماثيل وصناعة الأثاث من الخشب وتطعيمها بالعاج والى غير ذلك. كما كان لتوفر بعض المواد الخام في منطقة الموصل أثره في أزدهار بعض الصناعات ولاسيما صناعة التماثيل والمنحوتات الجدارية.

وقد بدأ الانسان منذ استقراره في المستوطنات والقرى الزراعية بتشييد الدور وصناعة العديد من الالآت والادوات والحاجيات الضرورية لادامة حياته المستقرة، وكان لمنطقة الموصل دور رئيس في نشوء تلك الصناعات وتطورها طالما احتضنت العديد من القرى الزراعية الاولى التي استقر فيها الانسان، وبتطور الحياة وتقدم أساليبها نشطت صناعات مختلفة وتطورت وشهدت أوج ازدهارها في العصور الآشورية المتأخرة، ومع ذلك، اتسمت جميع الصناعات بالبساطة وبأنها كانت يدوية، وتصح تسميتها بالحرف اليدوية.

وسنحاول في الصفحات التالية التطرق الى أهم الصناعات والحرف التي عرفت في منطقة الموصل مركزين في ذلك على العصور الآشورية الحديثة (القرون الثلاثة الأخيرة من حياة الآشوريين).

١ – صناعة المواد الغذائية:

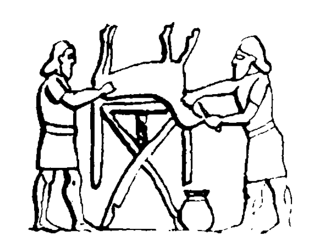
تعد عمليات تحضير المواد الغذائية من العمليات التقنية المهمة سواء في منطقة الموصل او غيرها من المناطق قديما وحديثا، وتشمل هذه العمليات تجهيز واعداد المأكولات والمشروبات من المواد الأولية المتيسرة وتخمير بعضها وأساليب حفظ الأطعمة بواسطة التقديد والتمليح واستخدام البهارات والمطيبات وخبز بعضها الآخر، واستخدام المواقد والتنانير والأفران.

ويأتي الخبز، بطبيعة الحال، في مقدمة الأطعمة في العالم القديم ولاسيا في مناطق البحر المتوسط، وكان يعد من الحبوب المختلفة، وكانت صناعته تستلزم معرفة كاملة بأسلوب التخمير التي أفادت في صناعة المشروبات الكحولية ايضاً.

واستلزمت صناعة الخبز معرفة صناعات أخرى متممة، كصناعة الأواني الفخارية والتنانير،



وكانت صناعة التنانير سابقة على صناعة الفخار، ولاحقة بالتأكيد لمراحل كانت فيها صناعة الخبز على الحجر مباشرة في مواقد مفتوحة كما استخدمت الحبوب المشوية والمطحونة التي كان يتم تناولها على شكل عصيدة من فترة الألف السادس قبل الميلاد في جرمو[١] .







تفاصيل طبخ وتحضير اطعمة (من منحوتات جدارية)

وقد عرف الخبز بالسومرية بكلمة ninda التي يقابلها بالأكدية كلمة أُكلُ aklu ، وقد استخدمت كلمة اخرى مشتقة من الجذر نفسه للدلالة على الطعام مما يشير الى أهمية الخبز باعتباره الطعام الرئيس عند العراقيين القدماء.

وكان هناك انواع متعددة من الزيوت ، كما اختلفت أساليب استخدامها ومصادرها . فكان زيت الزيتون يستخرج بواسطة الرحى الكبيرة باسلوب مشابه الى ماهو معروف في الموصل والقرى المحيطة بها حتى اليوم[٢] .

وعرف سكان العراق القدماء استخدام الملح منذ أقدم العصور التي وردت الينا منها نصوص مدونة ، وقد استخدم مصطلح طابت tabtu للدلالة على الاطعمة المطيبة بالملح كما ذكر انه يساعد على حفظ الاطعمة[٣] .

وكان الملح الصحراوي من أحسن انواع الملح كما عرف ملح الأنهر غير النقي ، وكان الحصول عليه يتم بعد تجفيف المياه او تبخيرها ، وعرف الملح من وسط النهر بأنه الملح البشري الذي يستخدم لتطييب المأكولات . وكان الملح يعد واحدا من الحاجات الضرورية في حياة الانسان حتى انه عدّ مشوبا بنوع من القدسية .

والى جانب الملح ، كان الاهتمام كبيرا بالتوابل والبهار والمطيبات الأخرى ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، بعضا منها :

الخل :

وكان يطلق عليها باللغة الأكدية التسمية نفسها المستخدمة بالعربية وكان يعرف بأن الخل ينتج عن تحول النبيذ الى حامض ، وقد عرف منه النوع القوى الذي خصص لاستخدامات المطابخ ، كما استخدم في مجالات متنوعة منها الصيدلة وصناعة الدواء ، وكان يذكر في الغالب مع الزيت في النصوص الطبية .

ويلاحظ بهذه المناسبة ذكر اعداد وأنواع كثيرة من المواد التي ترد في النصوص الطبية وتستخدم في الوقت عينه في تطييب المأكولات ، ومنها الثوم والبصل :

وعرف الكركم والكمون ومنه الكمون الأبيض والكمون الحلو وكمون الصحراء والكمون الجبلي والكراث والسماك او السماق ، وعرفت للأخير استخدامات متنوعة منها استخدام بذوره للتوابل وأوراقه للدباغة.

اما الخردل فكان ذا أهمية وانتشار واسعين سواء في مجال تحسين نكهة الطعام او في الخلطات الطبية ، وذكر منه النوع الأسود الذي يساوي الفلفل الأسود المعروف عندنا اليوم والذي يقارب في أهميته الملح ، وذكر ايضا من انواعه الملكي .

كذلك عرفت الكزبرة ولفظها هو نفسه في الأكدية، وكذلك النعناع . اما الطعام الرئيسي المعروف في العراق ومعظم مناطق العالم اليوم وهو الرز، فكان يسمى في البابلية الحديثة "شابي" وهو الرز غير المقشور ويقرب كثيرا من تسمية الشلب في العراق ولا يبدو انه كان من المأكولات الرئيسية او المفضلة قبل هذه الفترة ، ولهذا فان ذكره جاء متأخرا في النصوص المدونة من القرون العشرة قبل الميلاد ، وبعكسه كانت معرفة العراقيين القدماء بالسمسم الذي كان من الوجبات الغذائية المعروفة وخاصة زيته الراشي واسمة في البابلية مركبا ويعني زيت النبات ، وجاء بلفظة شمن او سمن النبات .

ومن الاصول التي استخدمت فيها المطيبات والعطور وأنواع عديدة من الزيوت النباتية ، منها زيت اللوز وزيت ثمرة البان وزيت الخروع والحنظل وزيت الخس والكتان وزيت الزيتون وزيت الفجل ، في حين عرفت الزيوت الحيوانية من قبل المتخصصين بصناعة العطور، فذكر شحم الثور والخراف والأوز في النصوص القديمة الخاصة بتجهيز مواد التجميل وذكرت شحوم الحيوانات المقدمة كقرابين في النصوص الطبية بشكل خاص [٤].

ومن المعطرات الطبيعية التي كانت تستخدم ، بذور نبات اليانسون ، ورحيق قطن الطب ، وزهور نبات الشيشم الأسود وخشب السدر وجذور الزنجبيل وورد عباد الشمس وأوراق وأزهار النعناع وأزهار الورد وأوراق ونبات الليل الجبل وأزهار الحلفاء وخشب الصندل [٥] .

أن اساليب استخراج رحيق النبات وعصاراته من الجذور والأزهار والأوراق وحتى أغصان النبات وسيقانه كانت تتم بدون ادنى شك بالوسائل المألوفة اليوم حيث يتم استخلاص السوائل المعطرة من هذه النباتات بالتقطير. وتعرف عملية استحضار العطر من الورد بتنقيع الازهار في طبقات او شرائح من السمن وبعد ان يتشرب الدهن بعطر الأزهار ويستخدم لذلك السمن الحيواني ويتم حفظ السمن المشبع بعطر الزهر على شكل كرات او مخاريط صغيرة تستخدمها النساء بشدها على شعر الرأس .

ومن الأساليب الاخرى الخاصة بالحصول على العطر تنقيع الازهار في الزيت او السمن الساخن وبدرجة حوالي ٦٥٪ ، ثم يتم عصر الخليط وهو ساخن . وتعرف طريقة ثالثة وهي عصر الازهار او البذور بواسطة الخشب او الحجر او بواسطة القماش ويستخدم لذلك عيدان في كل طرف من طرفي القماش .

ومن الجدير ذكره عن الاساليب العلمية الخاصة بحفظ الاطعمة ، ومنها اللحوم كلحوم البقر والاغنام والخنازير والغزلان والارانب والطيور والاسماك والدجاج ..... ، اضافة الى استخدام الاملاح والمواد المطيبة والمعطرة هي اساليب الحفظ بالتقديد والتدخين المعروفتين.

وبعض الاثمار والفواكه كانت تحفظ في العسل ويمكن ان تكون هذه مانعرفه "بالمربيات". وكان العسل معروفا بانواعه ومناطق شهرته كما هي اليوم ،



فكان عسل الجبل معروفا في اللغة الاكدية ويعرف من أنواعه الأسود والأحمر والأبيض. اما الدبس وهو عصير التمر والعنب فكان معروفا ويسمونه "دشبو".

ومن اجل اعداد المأكولات حسب المواصفات المدونة على بعض رقم الطين التي وصلت الى ايدي المنقبين ومن التي تمت دراسة تفاصيلها المشوقة وجد ان هنالك انواعا عديدة من الأواني اللازمة لانجاز عمليات متنوعة، وقد استخدمت وسائل عديدة للطبخ، منها التنانير والافران المقامة على شكل القباب، والقدور المتنوعة، ومنها المغلقة والأخرى المفتوحة والمزودة بعرى. ومن مضامين اربعة وعشرين رقيما طينيا وجد انها تحتوي على اربعمائة موضوع، بينما رقيمان متميزان يحتويان على قوائم خاصة بالطعام مدونة باللغتين السومرية والأكدية. وتذكر هذه القوائم مابين ثمانية عشر وعشرين نوعا من الوجبات واكثر من مائة نوع من الحساء وحوالي الثلثمائة نوع من الخبز. وميزة كل نوع بما يحتويه من مواد كالحليب والزبدة والزيت والبيرة والبهارات والمواد السكرية... ومن أشكاله يعرف النوع الكبير جدا والصغير ومنه ما كان يصنع على شكل القلب او اليد، وحتى مايصنع على شكل المرأة. ولقد تم اكتشاف حوالي خمسين قالبا لصنع مثل هذه الانواع من الخبز من خلال مكتشفات مدينة ماري (تل الحريري) وحدها وذلك من فترة معاصرة لفترة حكم حمورابي، اي في حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد. ومن هذه النوعيات من الخبز ما كان محشوا بالجبن او غيره من المواد التي ذكرناها. ويحتوي رقيم طيني على مائتي سطر تضم وصفا متكاملا لعشر "طبخات" لانواع من الطيور الاليفة ومعها اخرى من الطرائد (طيور برية).

وفي نص آخر نقف على خمس وعشرين وصفة لأنواع من الأطعمة التي عرفت بأنها تحضر مع الماء والسمن ووصفت بأنها تطهي في اوان مغلقة. وبين هذه الأصناف واحد وعشرون صنفا تطهى باللحوم والأربعة الأخرى تطهى بالخضر، ويضاف اليها مايناسبها من البهارات والفلافل والمطيبات الأخرى، فضلا عن انواع من الحشائش وقطع من الأغصان النباتية المعطرة والمطيبة. ونرصد من بين المأكولات هذه مايوصف حرفيا بـ "فخد حمل مسلوق بالماء" و "يخني معلاق" وغير ذلك مما هو قريب من أصناف الطعام المعروفة حاليا في العراق. وكانت الأطعمة والمأكولات المتميزة تستمد اسماءها من الأقوام الذين عرفوا باجادة صنعها او من نوعية الخضر المستخدمة في طبخها.

وتشير المعطيات التي بين ايدينا الى مايسميه أهل العراق بـ "المعلاق" وهو الكبد والرئتان والقلب، كان يطبخ كاملا بدون ان يقطع، كما تشير الى طبخ فخد حمل وأعضاء أخرى معه بما في ذلك الطحال.

وأكثر الوصفات الخاصة بالطعام اختصارا هي تلك التي ترد في رقيم يتكون من أحد عشر سطرا، ويبدو خاصا بوصف اسلوب عمل "الكبة" ومما جاء في النص مايأتي:

- تنظف المادة ثم تشطف بالماء البارد ويضاف اليها القليل من الخل. يسحق النعناع مع الملح وتفرك "الكبة" بهذا الخليط.
- رشح السائل في قدر مع اضافة نعناع الى السائل المرشح.
- ضع الكبة فيه مع اضافة قليل من الماء البارد ثم حرك الخليط.

وترد تفاصيل وصفة أخرى بتحضير انواع من الطيور في تسعة وأربعين سطرا مدونة على رقيم طيني، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

"اقطع الرأس والأرجل ثم افتح الجسم وارفع الحواصل والمعلاق، شق الحوصلة واسلخها (قشرها)، أغسل الطيور بالماء النقي ثم حضر اناء وضع فيه الطيور والحواصل والمعلاق جميعا".



ويأتي وصف المرحلة التالية من تحضير هذه الطبخة كالآتي :

"أغسل بالماء النقي اناء وضع فيه حليبا مخلوطا وضع الاناء على النار. اسكب "وشل" الاناء الذي يحتوي على الطيور والحواصل والمعلاق وأضف الملح ثم ضع الجميع في الاناء الذي يحتوي على الحليب. ضع بعض السمن وعندما تصل حرارة الاناء على النار الى درجة الغليان ضع كمية من الكراث والثوم والبصل ومادة أخرى (يسميها النص ساميدو، samidu) اسحق حبوبا... ولينّها بالحليب وضع عند الحاجة بهارات مملحة وزيتا بحيث يصبح أشبه بالعجينة اللينة. وضعها على النار لفترة ثم اقطعها نصفين.

(وهناك نقص في تفاصيل أخرى بسبب كسور في الرقيم الطيني ومع ذلك امكن استخلاص بعض التفاصيل ومنها ان العجينة التي توصف في الأسطر الأخيرة هي بدون أدنى شك من أنواع الخبز وتصبح بعد ذلك متابعة النص بالتفاصيل الآتية :

خذ اناء كبيرا يكفي كل الطيور.
ضع العجينة (قطع من الخبز) في قعر الاناء الكبير.
وأخرى ضعها فوق النار.
حتى تنضج.
ضع قطعا من الطيور على العجائن (قطع الخبز).
«شرّب» الحواصل والكبد الباقية مع بعضها.
(رطبها) جميعا واجعل عليها غطاء وارسلها الى المائدة.

وتعبر التفاصيل الدقيقة النادرة في مثل هذه النصوص عن الاهتمام الذي كان يوليه العراقيون آنذاك بل وحتى خلال الفترات اللاحقة بالأطعمة والمأكولات المتميزة، ولاسيما المشهيات والمقبلات من الخضراوات الطازجة وأنواع البهار والفلافل والمطيبات والوصفات العديدة الى الحد الذي أوحى الى العديد من الباحثين المتخصصين بأن الوصفات التي ترد في هذه المجموعة من رقم الطين هي وجبات خاصة بتأدية طقوس دينية قبل ان تكون خاصة بمطابخ فردية او عامة.

ولعل الأقرب الى الواقع ان مثل هذه الوصفات كانت على الأغلب معدة لارشاد طباخي القصور والمعابد وبيوت الذوات المتميزين في المجتمع العراقي القديم، حول كيفية اعداد طبخات يبدو انها كانت وطنية او محلية، وقد تكون حتى أكلات شعبية مع اختلاف معقول في نوعية المواد الأولية المستخدمة وكمياتها بطبيعة الحال.

وكان الشعير يستخدم ايضا في صناعة تخمير الحبوب، ويستلزم ذلك تخمير حبات الشعير في الماء في مكان دافيء، وبعد التخمير تتحول المحتويات من النشويات الى مادة تبعث في النفس نشوة. وبعد عملية التحّول هذه يتم دق حبوب الشعير وهرسها، ثم يتم عجنها وتكويرها على شكل اقراص الخبز بحيث يمكن بوضعيتها الأخيرة نقلها وحفظها ثم يمكن تفتيتها ثانية واذابتها في الماء لتتخمر بالحرارة.

وتشير الوثائق المدونة بالمسمارية ايضا الى ان الشعير كان يرطب ويوضع في الشمس ليجف، وكان هذا من عمل المتخصص بصناعة البيرة، ثم تتم عملية الجرش والغربلة. وتوضح لنا الكتابات المسمارية تفاصيل وافية عن مراحل الصناعة هذه، ومع ذلك فان تفاصيل دقيقة أخرى مازالت غير مفهومة ولكنها مدونة عندهم منذ مراحل كتابتهم الصورية المبكرة ومن هذه التفاصيل مايضاف الى المحلول من مواد معطرة او مايمكن تسميته بالمطيّبات، ثم فترة بقاء المحلول المتغيرة وذلك من أجل الحصول على درجات مختلفة من الصناعة التي تحدد فيها نوعية المحلول من حيث قوة التأثير. ومن ذلك انواع من البهار على شكل فطائر.



نماذج لصور ادوات وطرق تحضير اطعمة ومشروبات

وما تذكره التعابير والاصطلاحات عن مثل هذه النوعيات يقارب مايعرف اليوم في مثل هذه الصناعة. وتذكر النصوص نوعيات مميزة من المشروب، منها السوداء (التي توصف بكونها قوية التأثير) ومنها البنية وذات اللون الفاتح والحمراء وتلك التي من الدرجة الاولى والمصفاة والمثيرة... او تلك المعروفة بأم "الدوخة".

ومن أوصافها التي تخص جودة صناعتها ونوعيتها وصف بعضها بالجيدة والأخرى من الصنف الحسن والخفيفة جدا والنقية وذات المذاق الحسن والمحسنة والحادة والتي تستخرج من الجريش. وترد نوعيتها البيضاء والبيرة المقطوعة على ٥٥٪ والأخرى المقطوعة على ٣٣٪ وعلى ٢٥٪.

ومن بعض تفاصيل هذه الصناعة ماتوضحه ايضا الكتابة المسمارية التي تذكر مثلا انه كان يكفي لانتاج (٨٠) لترا من نوعيتها السوداء تحضير (١٨) لترا من القمح المنقى من القش و(١٨) لترا من القمح الأبيض و (٢٤) لترا من الشعير المخصص لهذه الصناعة و (٣٦) لترا (من نوعية أخرى من الشعير)، وقد اصطلح السومريون على تسمية هذه النوعية بالتعبير وتعد هذه النوعية من النوعيات المعروفة بالمشروب الشعبي ومنها نوعية اخرى معروفة بالسوداء التي سبق ذكرها.

اما في مايخص انتاج البيرة السوداء من النوع الجيد جدا فان المواصفات لاتذكر الحنطة في التحضير، ويكتفي بذكر الشعير الخاص لذلك، ويذكر الباحث هوبر قائمة بتسعة عشر نوعا من البيرة السومرية، يشخص منها ثمانية انواع من الصنف الجيد الذي يستخدم في صناعته الشعير المخصص لذلك بدون اضافة اية انواع من الحبوب الأخرى.

ثم يشخص الباحث نفسه ثمانية انواع أخرى يسميها بيرة الحنطة، وهي المعدة من كمية من الشعير مضافا اليها نسبة معينة من الحنطة. ثم يسمي ثلاثة انواع أخرى يدعوها بالبيرة الخليطة. والأخيرة يمكن ان تكون خليطة ايضا باضافة مواد من حشائش وعطور خاصة لتمييزها.

ويجدر بالاشارة ان الشعير المخمر والمجروش مع البهار كان معروفا بوصفه خلطة توضع في دنان خاصة بالتخمير ثم ينقل السائل المخمر وينقّى في اوان خاصة تترسب فيها كل الشوائب المتبقية. وأخيرا تنقل البيرة الخالصة الى اوان تكون معدة للشرب منها.

لم تكن صناعة البيرة معروفة فقط، بل كان النبيذ هو الآخر معروفا، من حدود الألف الثالث قبل الميلاد، وتذكر النصوص ان مجالس الشراب كانت واسطة لتعميق الألفة والعلاقات الطيبة بين الأفراد.

وكان استخدام النبيذ في العلاجات الطبية واردا ويشبه العلاج بالزيت، وكذلك كان النبيذ يستعمل، وبصورة أساسية، لتذويب العقاقير والأدوية وخلطها. وكانت عادة تقديم القرابين من النبيذ الى الآلهة شائعة ومألوفة، وتمارس يوميا كذلك كان استخدامه في الاحتفالات الخاصة بتقديم القرابين من الحيوانات.

وكانت تفاصيل عمل النبيذ معروفة ولكنها غير مدونة، كعادة العراقين القدماء في عدم ذكر تفاصيل العديد من الحرف والمهن، ومع ذلك فاننا نتزود ببعض التفاصيل عن ذلك من خلال الحكم والأمثال او من خلال المدونات الكيمياوية والطبية وأحيانا من النصوص المتعلقة بتجارته. وفي الحقيقة كانت تجارة النبيذ والكحول بشكل عام معروفة وشائعة، وهذا مانلحظه من خلال الكلمات والاصطلاحات الخاصة بها.

واشتهر النبيذ المستخرج من كروم المناطق الجبلية، ويرد من التعابير في اللغة الأكدية مايوضح ذلك، فمن ذلك مثلا ان شيكار شادى



تعني «الشراب المسكر» من مناطق الجبال. ولكثرة الاصطلاحات التي ترد في اللغة الأكدية عن انواع النبيذ ودرجاته يمكن التكهن بتعدد اساليب استخراجه وصناعته وتنوع مصادره ايضا.

ومن الواضح ان العراق القديم له تقاليده في تصفية النبيذ وصناعته وهي قريبة حتى من أساليب صناعته في العراق اليوم، ومن هذه التقاليد عادة اضافة كميات مناسبة من المطيبات مثل العسل وغيره في المراحل الدقيقة من صناعة النبيذ وتحضيره وتكون من اختصاص المحترفين من الصنّاع.

ومن الطبيعي ان يكون المتخصصون بصناعة النبيذ في العراق القديم قد عرفوا النبيذ المستخرج من العنب اليابس الذى يترك مع اغصانه لتجف ثم يتم طحنه. وتساعد عملية الطبخ او الغلي على تحسين حتى النوعيات غير الجيدة من العنب.

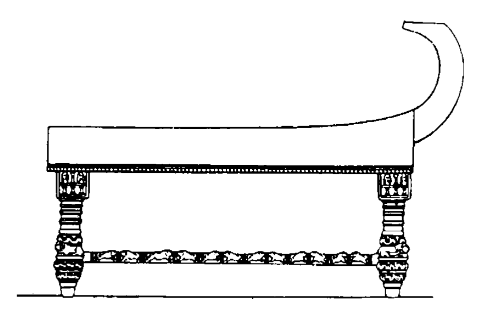
ومن المعروف عن التقطير انه عملية غلي السائل المقصود عدة مرات واستخلاص بخاره، وكان ذلك بأساليب متنوعة وعديدة وبالعملية نفسها كانت تتم عملية صناعة العطور.

٢ - صناعة الأثاث:

تمدنا المنحوتات الحجرية، ولا سيما تلك التي كانت تزين جدران قصور الملوك الآشوريين، والمشاهد المحفورة على الأختام او المسلات، فضلا عن ماذكرته النصوص المسمارية الكثيرة بمعلومات وافية عن اشكال وزخارف وأساليب صناعة ومعرفة الأثاث من الخشب والعاج، واحيانا من المعادن.

وقد أشير في الكتابة المسمارية الى المادة الأولية الرئيسية في صناعة الأثاث الخشبية بكلمة جِش gis ويسميها الأكديون إصُ. وأشاروا الى المتخصص بصناعة الخشب بمصطلح (naggaru) وهو عند السومريين (NAGAR) وتشير الكلمة الى أول مرحلة تخضع لها مادة الخشب الى الصناعة. وتبدو في الكتابة المسمارية في مرحلتها الصورية الاولى عبارة عن عملية قريبة من عملية اجراء التثقيب في كتل مقطعة من الخشب، هذا علما ان معظم الأثاث المصنوع في العراق كان يركب بطريقة الفجوة واللسان، كذلك توضح مصطلحات أخرى عديدة أساليب صناعة وتركيب قطع الخشب، فضلا عن اسماء بعض الأدوات المستخدمة التي تبدو واضحة على المنحوتات او الاختام ومنها الفؤوس والبطات والمناشير والزوايا والمثاقب.

والمعروف عن انواع من الأشجار المألوفة الاستخدام في صناعة الأثاث أنها كانت معروفة في العراق وأنواع اخرى كانت تستورد خصيصا لذلك من جبال لبنان وتركيا. ومن تلك الأشجار المذكورة في الكتابات المسمارية اشجار التين (تينو) والصفصاف (سارباتو) وأنواع متعددة من أشجار التوث والحمضيات اضافة الى خشب الساج وأشجار الصنوبر والسرو وأنواع أخرى لم تشخص بعد على الرغم من ورود ذكرها في الكتابات المسمارية.



ومن الجدير بالملاحظة ان طبيعة الشكل المعمارى لقطعة الأثاث ترتبط كما في الشكل المعمارى للبناء بطبيعة المواد الأولية المتوفرة والممكن توفيرها. حيث عرف النجار العراقي تلبيس القطع الخشبية الرئيسية بقطع من العاج والأحجار الكريمة

والمعادن ، فضلاً عن الفرش الملونة لمقاعد البعض من قطع الأثاث . وكانت انواع من الأقمشة المزخرفة تستخدم لزينة واكمال قطع الأثاث هذه والتي تبدو انها كانت ذات أثمان غالية وكانت عادة تصليح الأثاث المزود بالقماش "الدوشمة" معروفة .

وكان مستوى التأثيث المنزلي يختلف بطبيعة الحال ، فالبيت الاعتيادي البسيط كان يحتوي على مقاعد هي عبارة عن اكتاف من اللبن وحتى الطين ، وتكون عبارة عن دكاك او مقاعد جدارية ، فضلا عن مقاعد على الأرض من الحصير والبسط .

وكان استخدام الديوان majsltu والفرش ershu مزدوجا للجلوس والنوم ، ويمكن صناعتها من الخشب او من اللبن المزود بفرش منسوج ويكون عند الاغنياء مزينا وملبسا بقطع وصفائح المعدن او مزينا بتراكيب ومنحوتات ووحدات زخرفية او قطع من الأقمشة .

وعلينا ان نشيد بمهارة الحرفيين العراقيين القدماء وقابلياتهم للخلق والابداع في انتاج نماذج من قطع الأثاث التي تعد قطعا فنية ذات أهمية كبيرة تشير الى تطور الجانب الفني الى جانب التطور التقني الكبير.

والملاحظ ان النجارين البابليين والآشوريين خاصة أدركوا خلال تجاربهم العريقة ، وخاصة في انتاج قطع الأثاث للقصور والمعابد عوامل تقلص الأخشاب والشقوق والاعوجاجات ومواسم قطع الخشب وأنواعه وميزاته ومصادره .

٣- صناعة النسيج والسجاد :

تعد صناعة النسيج من أقدم الصناعات التي ابتكرها الانسان لتوفير مايحتاجه من الملابس منذ فترات مبكرة جدا من حياته .

وكانت ايدي الانسان الأدوات الاولى الرئيسة لهذه الصناعة التي تطورت على مر العصور، فمن أجل الحصول على الخيوط اللازمة كانت يدا الانسان المدربتان كافيتين لانجاز عملية فتل الخيوط . ثم كانت الأدوات المصنعة من قبل الانسان ، وهي المغزل الذي كان ولا يزال عبارة عن عود من الخشب في أول أمره ثم زودّ بقرص من نفس المادة ، ثم صنّع من الطين ومن مواد أخرى فيما بعد . ويكتشف المنقبون من الآثاريين اعدادا كبيرة من أقراص المغازل هذه ، وهي مصنوعة في الغالب من الطين المجفف بالشمس ومن الطين المفخور، وتعود هذه الى فترات معيشة واستقرار التجمعات السكانية في شمال العراق من الألف السابع قبل الميلاد ، ومن الفترات اللاحقة وصولا الى الفترات التاريخية ومرحلة الكتابة وشكل المغازل في مرحلة الكتابة الصورية ، ثم الفترات القريبة من فتراتنا وحتى اليوم ، حيث مازال المغزل بنفس شكل مغزل الأمس ووظيفته (٦) .

وكان الصوف من اولى المواد الأولية المستخدمة في صناعة النسيج ، وقد ظل يؤلّف المادة الرئيسية لصناعة النسيج حتى العصور المتأخرة ، وتوضح الكتابات المسمارية المختلفة أنواع الأصواف المستخلصة من الحيوانات ، وكانت عملية جز الصوف من العمليات الاحتفالية القومية الكبيرة حيث كانت تتم تحت اشراف المعبد ، ثم أصبحت باشراف الحاكم والملك ، وكانت التنظيمات الخاصة بادارة قطعان الأغنام والمواشي والعاملين في هذا القطاع وغيره قد تطورت بشكل كبير وارتبط هذا التطور بالتدوين والتقنية الزراعية ووسائل الري وشيوع استخدام المعادن وتطور نظام المؤسسات (٧). وتمخضت مثل هذه التنظيمات عن نشوء مايعرف بدار الجزمتباينة حسب الأعمار والحالة الصحية ، وتميزت في الصناعة النوعيات من الدرجة الاولى والثانية والثالثة والرابعة (٨) ، واستمرت شهرة العراق من سومريين وبابليين وآشوريين وغيرهم بانتاج هذه النوعيات المتميزة ، وكانت من أهم الصادرات الى



بعض دول الخليج وآسيا الصغرى، سواء كانت على شكل منسوجات او قطع ملابس عرفت شهرتها ايضا الشعوب المتاخمة للبحر المتوسط[٩].

اما المراحل الخاصة بانجاز عملية غسل الأصواف فانها في الواقع من المراحل المهمة والناتج منها يتراوح بين ١٥ – ٧٠٪ من أصل وزنها. ومثل هذه النسبة توضح كثرة المواد العالقة ودرجة التخلص منها، يعتمد على الأساليب الواجب اعتمادها، علما بأن حوالي نصف وزن المواد العالقة يمكن تحليلها بالماء، وهنالك عوالق أخرى تستلزم تقنيات خاصة لها.

وتعد مرحلة غسل النسيج او الصوف هنا عملية تسبق عملية التلوين او الصباغة ويعني احيانا تبييض النسيج، وذكر عن استخدام نوع من النباتات التي تستخلص من اجزائها مساحيق كانت معروفة بقابليتها على المساعدة في مثل هذه العمليات، وكانت هذه المرحلة وهذا التخصص الحرفي لازما، وتذكر مواد زيتية وكاربونات الصودا والبوتاسيوم وانواع من الاملاح تستخدم على شكل مساحيق متنوعة لتنظيف الأصواف. كذلك عرفت انواع من الزيوت النباتية التي كانت تستخدم لقصر وتنظيف خيوط النسيج بشكل عام سواء أكانت من مصادر نباتية كالكتان وغيره او من الصوف، واستخدم الصابون على نطاق واسع في مراحل التنظيف الخاص بالأنسجة المعدة للصناعات المختلفة[١٠].

وكانت صناعة الأنسجة من نبات الكتان من أكثر صناعات الأنسجة أهمية، وعرفت منذ عهود مبكرة.

ويرد ذكر مراحل صناعة الكتان في الكتابات السومرية ومن خلال مضمون قصيدة طويلة تأتي على ذكر النبات وهو يتلاعب في الفضاء ويمتد عاليا، وكيف كانت عمليات صناعته التالية لمرحلة الجني، حيث يذكر النص تمشيط خيوط النبات وغزله وتقويته بالبرم، ثم مدها وتوتيرها وأخيرا نسجها وبعد العملية الأخيرة تأتي مرحلة تقطيعه حسب الأطوال المنشودة[١١].

ويرتبط اسم الكتان بالسومرية (GADA) المشير الى الكتان واستخدامه في الأكدية بنفس المفهوم بالمعاني الدالة على القدسية والطهارة والنقاء والجمال ايضا واعتبر لبسه في احيان خاصة رمزا من رموز الملكية، هذا فضلا عن اتخاذه رمزا للأبهة.

وتمكن العراقيون القدماء من التوصل الى معرفة نسيج جديد مستخلص من النبات وهو القطن، والمعروف عن شجرة القطن انها أولا من عائلة النباتات المسماة بالخبازيات، وثمر الشجرة عبارة عن غلاف ينفتح عند النضج ويترك البذور المحاطة بكومة من الياف القطن، اما ارتفاع الشجيرة هذه فيكون حوالي المتر الواحد وتكون جذورها عميقة بشكل بالغ.

اما مراحل تصنيع خيط القطن فكانت تتلخص من جني الثمر وتنظيفه، وتتم عملية فصل الألياف عن البذور، ثم تتم بعد ذلك عمليات تسوية خيوطه، وتسمى هذه المرحلة بالتصحيح والتسوية، وفي الحقيقة فان عملية التسوية هذه توفر خيوطا مستقيمة ونقية بفعل التمشيط المتكرر الذي يخلص الخيوط من الشوائب والشعيرات المتنافرة والحال نفسه يكون بالنسبة لخيوط نبات الكتان، كذلك يتم التخلص بواسطة عملية التمشيط هذه من شمع القطن الذي يكون مغلفا في العادة للخيوط المعدة للنسيج.

ولقد كانت عملية صناعة النسيج من القطن في العراق معروفة بوضوح عند الآشوريين، ويذكر الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق. م) عن جلبه للشجرة التي تحمل الصوف وانه كان قد نسج نتاجها من أجل عمل الملابس[١٢].

وكانت الهند والسودان ومصر قد عرفت صناعة الأنسجة من القطن قبل هذه الفترة ، ويحتمل ان يكون الملك الآشوري سنحاريب قد حصل عليها من السودان عن طريق مصر او من الأخيرة مباشرة[١٣] .

وتتبع عملية التنظيف هذه صناعة المنسوجات التي تعد من العمليات التقنية المهمة ايضا ،وذلك لما تتضمنه من معارف خاصة بالكيمياء وبعض العناصر الخاصة بعلم الأرض والفيزياء ، وخاصة الفيزياء الضوئية ومنها تلك المرتبطة بالألوان ، ثم الدراسات الدينية والنفسية ، ومنها المفاهيم المرتبطة بهذه الالوان وتأثيراتها النفسية والاجتماعية .

كان اللون الأزرق بأطيافه المتنوعة اكثر الألوان شيوعا ، كما استخدم اللون الأحمر بأطيافه المختلفة ، وكان لكل من هذه الألوان مفاهيم خاصة مازال الاعتقاد ببعضها قائما لحد الآن . كما استخدمت الوان اخرى لتزيين الأنسجة منها الأصفر والأخضر.

اصناف المنسوجات :

من أهم اصناف المنسوجات تلك المخصصة لصناعة الملابس ثم الأنسجة المستخدمة للأثاث والطنافس ، وأكثرها شيوعا القباء او الجبة او المعطف والشال ، وكل مايوضع فوق القميص ، ويكون الملبوس الشائع الاستخدام بالدرجة الثانية[١٤] . وكانت تعرف قطع عديدة أخرى من الملابس المستخدمة من المنسوجات المتنوعة والمصنفة حسب نوعيات موادّها الاولية وحسب أسماء وردت في اللغتين السومرية والأكدية وبعض من هذه الأسماء مازال مشيرا الى نفس المعاني والمفردات الخاصة بقطع الملابس وحتى اليوم .

اما مايخص المنسوجات المستخدمة في الاثاث فانها ترد في مناسبات عديدة في الكتابات المسمارية ، ومنها تلك المغطية للارائك وفرش النوم وقطع الأثاث ومنها الستائر. ويرد ذكر النسيج المصنوع من الكتان في مقدمة الانسجة المستخدمة في تأثيث مرافق الآلهة بما في ذلك البياضات والاغطية ، وترد في مناسبات عديدة كيفية تنظيفها وذكر المنظفين المتخصصين بأسمائهم[١٥] .

وتشير الكتابات المسمارية ايضا الى تخصيص كميات من الذهب لزينة فرش مخصصة لآلهة أخرى ، فضلاً عن ذكر فرش عديدة للملوك بأنها مزينة بالذهب ويراد بذلك زينة أقمشة ومنسوجات عدة الفراش ،وقد تكون ايضا لزينة الأجزاء الخشبية وبعض قطع المعادن المزينة لهذه الأجزاء بما في ذلك صبغة لون التذهيب المفضلة عندهم ، وذكر في نص واحد تذهيب كمية من الفضة تتراوح بأوزاننا الحالية مابين كيلو واحد وكيلو غرام واحد ونصف لاصلاح مجموعة من الكراسي المستخدمة في معبدى آلهين آشوريين[١٦] . ومن الملاحظ استعمال الفعل خاطو khatu القريب من العربية اشارة في الاكدية الى الغطاء المصنوع من القماش والمستخدم لاصلاح هذه المجموعة من الكراسي الآنفة الذكر ويأتي من معانيه تثبيت وخياطة الحلي الذهبية ومنها القطع على شكل الزهرات والمستخدمة للمعبودة زوجة اله الشمس شمش[١٧] .

وتعد الخيام واحدة من المصنوعات المنسوجة من أنواع مختلفة من خيوط النسيج.. والخيام تعتبر واحدة من نماذج المساكن شبه الثابتة والمتنقلة والتي تستخدم في حالات عديدة في معظم مناطق الوطن العربي والعراق بشكل خاص . وتبدو انواع من هذه الخيام المنسوجة وبعضها بزخارف جميلة تشابه تلك المعروفة على سروج الخيول ومظلات العربات الآشورية وزخارف الطابوق المزجج المزين لبوابات بعض المدن الآشورية ومداخلها وزخارف مانسجته من المنسوجات المعروفة بالطنافس، فضلاً عن زخارف التطريز على ملابس الملوك والخاصة .



ومن نماذج الخيام المنحوتة على منحوتات عليها مشاهد الحياة اليومية الآشورية في حالات السلم والحرب تبدو سميكة ومشدودة على عمد، وتبدو من نماذجها هذه المتطورة والجيدة الصناعة اذا ماقورنت بنماذج الخيم المصنوعة والمستخدمة من قبل أعراب الجزيرة وحتى اليوم. وترد مفردات عديدة في النصوص المدونة بالمسمارية وهي تشير الى الخيمة وصناعتها من النسيج وترد اشارات اخرى الى الحبال والشرائط المعدة لربط قطع او شقق النسيج الى بعضها وخاصة في حالات نصبها بحجم كبير حيث قربوا الشقق الى بعضها بحلقات تستخدم ككلابات من المعدن او تخيط الى بعضها او تشد بحبال وشرائط.

وتمثل صناعة الطنافس والسجاجيد بأنواعها واحدة من أهم صناعات النسيج في المنطقة وفي العراق ايضا. وكانت هذه الصناعة مكملة ومتطورة بنفس اتجاه التطور الاقتصادي والعمراني، وكذلك الحال بالنسبة لتطور صناعة الستائر والمنسوجات المعدة والمكملة لصناعة الاثاث. وكانت هذه الصناعة قد تطورت عند الآشوريين والبابليين المتأخرين بشكل خاص قبل ان تتطور وتنمو صناعتها لدى الايرانيين الذين اشتهروا في هذا الجانب من الصناعة في الفترات اللاحقة، وبعد تأثرهم الواسع بهذا الفن العراقي القديم المعروف، فضلا عن تأثرهم بالفنون الأخرى[١٩].

وكانت دقة نسيج الطنافس العراقية القديمة وبالذات الآشورية منها لا تنفصل عن تلك الدقة والحذق اللذان تميز بها الحرفيون المتخصصون بصناعة الزخارف وتطريزها على الأنسجة، وكانت هنالك موضوعات وعناصر زخرفية مألوفة في العمارة وفي زينة الفخار وعلى المعادن وعلى الألبسة وعلى الطنافس، ومن هذه الوحدات الزخرفية زهرات اللوتس وزهرة الربيع اللؤلؤية وهي زهرة البابونك المألوفة النمو وحتى اليوم وبغزارة في كل المناطق المحيطة بنينوى وفي منطقة الجزيرة.

ومن غير المحتمل ولا من الواقع في شيء ان نعثر على نماذج حية من الطنافس العراقية القديمة، ولكن تتوفر ور... طقية، اضافة الى وثائق أخرى مكتوبة ومادية غير مباشرة عن تطور وشيوع هذه الصناعة عند الآشوريين بشكل خاص. فقد تم العثور على قطع من المرمر بنقشة الطنافس مزينة أرضيات ومداخل بعض المدن الآشورية ومنها خرصباذ (دور شروكين) ومساحة واحدة من هذه القطع المرمرية تبلغ حوالي الثمانية امتار مربعة، وتبدو نماذج أخرى من هذه القطع المزخرفة بوحدات قريبة من زخرفة هذه القطعة المرمرية.

ويبدو ان الاصطلاح مارداتو mardatu والذي يرد في اللغة الأكدية ليدل على الهدب المزينة لأغراض الأنسجة بشكل عام وللطنافس بشكل خاص مايشير الى أسلوب عمل الطنافس، حيث يتم عقد الخيوط وبالألوان والتي تستلزم دقة متناهية خاصة حين تنفيذ وحدات زخرفية دقيقة كالأزهار مثلا[٢٠].

كذلك نعرف الاصطلاح مشاكو mashaku الذي يشير الى نوعية الطنافس التي تستخدم في المعابد[٢١].

ولقد انتقل العديد من الحرفيين المتخصصين بحياكة الطنافس والمنسوجات الأخرى الى خارج العراق، ومنهم من رحل جبرا الى بلاد فارس، وبالذات الى سوسة عاصمة العيلاميين وذلك بعد مجيء الأخمينيين الى العراق، ولقد ذكر عن پليني اشادته بالسجاجيد البابلية التي ورد ذكرها في كتابات المؤلفين والمؤرخين الرومان. كذلك ذكر عن منسوجات معبد جويبتر في مدينة اولمبي انها كانت منسوجة على طريقة النسيج الآشورية[٢٢].

ويذكر عن الصوف وخاصة الأنواع الجيدة منه بكونها ملائمة لصناعة الطنافس فضلا عن وبر الجمل الصغير السن، وكان تحضير الصوف لصناعة الطنافس معروفا في العراق وبشكل مستمر، وتنامت هذه الصناعة اليدوية في شمال



العراق بشكل متميز، وتتوفر في مثل هذه المناطق امكانية جيدة للرعي والحصول على الأصواف الجيدة، اضافة الى خيوط أخرى بما في ذلك خيوط الحرير. وتتوفر عناصر الألوان وخاصة النباتية منها والملائمة للحصول على صبغات ثابتة للخيوط، ظّلت معروفة ايضا حتى اليوم، وفي صناعات خاصة للطنافس ادخلت خيوط الذهب والفضة في نسيج اللحمة أو السداة. ومثلما هو الحال عند الآشوريين فقد أجاد الحرفيون من العراقيين في تنفيذ اشكال وصور آدمية وحيوانية ونباتية في نسيج الطنافس هذه[٢٣].

كذلك كانت الوحدات الزخرفية واحدة من المعالم الدالة على أماكن صناعة الطنافس والسجاجيد وأصبحت هذه من الرموز المميزة لمدرسة تطورت من صناعة محلية لتصبح واحدة من السمات الفنية والحرفية البارزة. وكانت صناعة الطنافس ووحداتها الزخرفية والألوان المستخدمة لكل منها في بلاد وادى الرافدين وعلى مر العهود دلالات كبيرة،ولكل من هذه مفاهيم ذات علاقة بالطبيعة والسحر والمقدسات، كذلك لها علاقات اخرى ترتبط بنفسية وروح الانسان في هذه المنطقة. ومن أبرز العناصر الزخرفية الشجرة. وكانت الشجرة ومنذ اولى عصور العراق التاريخية رمزا للحياة والخصوبة وعنوانا لموضوعات لها علاقة بالخلود. وبسبب من المغالاة في استخدامها كموضوع وكعنصر زخرفي، فقد التجأ الحرفيون الى تحوير شكل الشجرة والرمز بها بأكثر من نوع واحد. وكانت النخلة وشجرة الرمان من انواعها المألوفة في العراق القديم[٢٤]. وتداول الفنانون المسلمون مفاهيم مشابهة وقريبة لتلك التي كانت مألوفة في العراق القديم والمناطق المجاورة، ومنها وادي النيل. وأصبحت الشجرة عندهم رمزا للحياة الدنيا والحياة في الآخرة: فتحت ظلالها يستريح المخلصون في الجنة ويأكلون من طيب ثمارها.

الملابس:

هناك دراسات وتصانيف مختلفة لأنواع الملابس وأساليب ارتدائها وصناعتها وزخرفتها، أمكن وضعها استنادا الى ماهو متوفر من معلومات مدونة او مشاهد منحوتة على المنحوتات والأختام وغيرها. فهناك مثلا ملابس الحياة اليومية والملابس الخاصة بالاحتفالات والأعياد الدينية والقومية، ثم هنالك الملابس الخاصة التي يرتديها الفرد لطرد الأرواح الشريرة او لكشف فأل معين وتلك التي يلبسها البعض عند اصابتهم بأمراض معينة. ثم هنالك ملابس الأبهة والعظمة[٢٥]. وهي الملابس الباذخة والثمينة التي اقتصر ارتداؤها على الملوك والمعبودين وبعض الخواص وتتميز بالزخرفة المبالغ فيها والمنفذة بالتطريز بخيوط الذهب والفضة والمزدانة بالأزهار المصنوعة من الذهب وبقطع الأحجار الكريمة والمليئة باللمعان والضياء والنور والاشعاع ... الخ.

وكان مفهوم الأبهة والعظمة موازيا للنفوذ السياسي والعسكري الذي بلغته الدولة في العراق على توالي العصور سواء ايام السومريين والأكديين والبابليين أو أيام الآشوريين. كذلك كانت الملابس الخاصة بالجيش، وتبين هذه الأخيرة المراتب والمناصب العسكرية من شارات ورموز على الرأس والمكملات من الزينة سواء اكانت من الأسلحة أم الحلي. والمعروف ان ازدهار صناعة الملابس والأزياء ومكملاتها يرتبط بالوضع العام والاقتصادي منه بشكل خاص. وكانت حرفة الخياط ومركزه الاجتماعي مرموقين، فقد نص قانون أشنونا[٢٦] (وهو أول قانون مدون باللغة الاكدية وثالث قانون من ناحية التسلسل التاريخي ويسبق في زمنه قانون حمورابي الشهير) في مادته الرابعة عشر على اجرة الخياط وتساوي حوالي ٢٠٪ من قيمة الملبوس. والأجرة ايضا كانت تختلف حسب المكان والزمان

وتصل أحيانا الى وزن كمية من الفضة تعد ضمن الأسعار المعروفة في العراق القديم عالية جدا وخاصة في الفترة الآشورية المتأخرة[٢٧].

وكان هنالك تنظيم للحرف في العراق القديم ومن ذلك تنظيم حرفة الخياطة والنساجة والعاملين فيها وذلك على شكل نقابات[٢٨]. كذلك كان هناك رئيس للخياطين ومنهم المشهورين باسمائهم، وكانت المعبودة عشتار التي تمتلك اختصاصات متعددة، كأن تكون ربة او الهة الخياطين، ويراد بها هنا النموذج المثالي والرائد في هذا القطاع الصناعي والفني المهم.

وكان الثوب او القميص اهم قطعة من الملابس، وأصبح الزي العام لكل العراقيين رجالا ونساءا، ولكنه اختلف في طوله، ويكون فوق الركبتين او دونها قليلا عند الرجال وطويلا عند النساء ويتميز بأردان قصيرة في الغالب ويكون مدورا عند الرقبة وفصاله عريضا فضفاضا يسمح بحرية الحركة والعمل.

وكانت القطعة الرئيسة الأخرى من الملابس هي المعطف، وكانت توضع في العادة فوق القميص، ويمكن تسميتها ايضا بالقباء او الزبون. ويكون في العادة من ملابس الأغنياء والموسرين ورجال الدين والحكام.. ويكون القباء في العادة مفتوحا من الامام ومن الاعلى الى أسفل ويشد طرفاه على طول الجسد والملاحظ استمرار هذا الملبوس في العراق منذ عهود الأكديين والبابليين والآشوريين، ويمكن أن نجد بقاياه حتى يومنا هذا.

والى جانب هاتين القطعتين الرئيسيتين كانت هنالك ملابس الاحتفالات والأعياد والملابس المستخدمة خلال اجراء الطقوس الدينية. ولمثل هذه الأزياء او قطع الملابس الاحتفالية اسماء معروفة، وهي في العادة مزينة بتطريزات متنوعة مستنبطة من المعالم الطبيعية من حيوان ونبات ومن

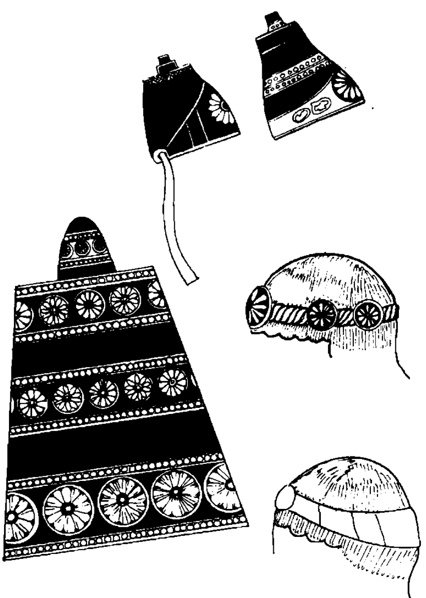
المظهر الخارجي لاحد الملوك الاشوريين.

رموز وأشكال اسطورية، وتكون هذه التطريزات بأشكال متنوعة بعضها بارز وبعضها ضمن خطوط النسيج في السدى او اللحمة، وتكون من خيوط المعدن او الخيوط الملونة، ومن الملابس المزينة بقطع حقيقية من الذهب والأحجار الثمينة[٢٩]. ولهذه الاحجار مسميات وصفات خاصة، ولها لمعان اريد به ان يكون على علاقة بالنجوم والكواكب، وفي هذه الأحجار امكانات سحرية اريد بها اطالة الحياة وعمر الانسان وتبديد الخوف وابطال تأثير أذى الحسد والعين الشريرة... وكان لمثل هذه القطع من الملابس دور معنوي كبير في

عمليات اجراء الطقوس الدينية فتنوب احيانا ملابس الملك عن حضوره الشخصي لاحتفال معين،وتمتلك الحلي المزينة لهذه الملابس تأثيرا شديد الفعالية على الأعداء وتفقد الأخيرة تأثيرها حين ارتدائها من قبل الآخرين (٣٠) .

ان قطع الملابس المترفة كانت رمزا من رموز العلاقة بين السلطان او الحاكم والمعبود ، وفي الوقت نفسه كانت رمزا من رموز الملكية والوراثة . ونفهم فلسفة اهداء ملبوس كخلعة وشيوع هذا التقليد خلال العصور اللاحقة .

وكانت زينة الرأس من أهم عناصر المظهر الخارجي للفرد والتاج،وهو رمز الأبهة،كان في أول أمره تاج المعبود اله القمر وهو على شكل هلال ، وما يصدر منه من ضياء ولمعان له علاقة برمز القوة والبأس وعن هذه القوة كان يرمز بقرون الثور، وهكذا كان الرمزان اي صورة القمر في شكل الهلال ونوره وقرون الثور من علامات الآلوهية في العراق القديم . اما لباس الرأس الآخر والذي لايزال معروفا حتى اليوم فهو العمامة او العمة ،



وتبدو مثلا على رأس جوديا ملفوفة بعناية ، وتبدو مزخرفة بوحدات وقريبة حتى من تلك المعروفة اليوم . وهنالك لباس الرأس الآخر المعروف بدوره خلال كل العصور وهو العقال (العگال) .

وهنالك انواع من العصابات تحيط بالرأس وتتدلى منها شرائط هي بمثابة رموز وشارات لحامليها من المرموقين وبعض المسؤولين ، وتبدو أحيانا مزينة برموز وشارات تكون عبارة عن تطريزات او قطع من الحلي وأحيانا تبدو مزينة النهايات بهدب (٣١) .

وكانت مثل هذه العصابات المزودة بوردة واحدة او اكثر من الشارات الدالة على المراتب العسكرية وتبدو واضحة على رؤوس كبار الضباط وقادة الفرسان. وتشير ازياؤهم الخاصة الى

تخصصاتهم الحربية ، وتشير ايضا الى تطور وتنظيم كبيرين .

وتعد ملابس القدم مكملة للمظهر المترف واستكمالا للأبهة ، وخاصة بالنسبة للأفراد من القوات المسلحة وتبدو ذات تفاصيل مهمة وخاصة انها موضحة بتفاصيلها الدقيقة سواء في النصوص المدونة او على المنحوتات او في الرسوم الجدارية المنفذة بالألوان. وتبدو ملابس القدم من الأحذية والصنادل المختلفة الأنواع وتدل صناعتها على استخدام مواد أولية عديدة منها اضافة الى الجلود والقماش قطع المعدن والحجارة الثمينة ، وتذكر الأحذية المبطنة وتلك المزودة باشرطة (٣٢) .

ومن المظاهر المتممة والمكملة للمظهر الخارجي للأفراد عموما كانت الأحزمة وكانت تعرف قديما بنفس الاسم. وللحزام دور نفعي وآخر جمالي،وكان في البداية يستخدم لحمل العدد والأسلحة ، ثم استخدم لشد الملبوس الى وسط الجسم وأخيرا استخدم كقطعة ملبوس جمالية مضافة عليها لوحات هي عبارة عن تطريزات من عناصر زخرفية (٣٣) . واستخدمه بأبهة عظيمة الأغنياء وذوو النفوذ ، ومن قماش ثمين يبدو عريضا على نحو مبالغ فيه احيانا وهو عند غيرهم مثل اليوم عبارة عن قطعة قماشية بسيطة وقد يكون خيطا او حبلا يشد القميص الى وسط الجسم.

واستخدم الشال بمعنى نطاق واسع ، وهو عبارة عن قطعة قماشية كانت توضع على الجسم وفوق القميص وبأساليب متنوعة تقرب احيانا من صورة وشكل المعطف وقد تكون في الأصل بداية لتفصيله وشكله المنتظم في آخر هيئته وبالشكل المسمى بالقباء او المعطف.

وحركة وأساليب استخدم الشال ذات مرونة كبيرة تتبع وتتعلق بالظروف الطقسية والحاجة ثم الشكل ، ومازال يستخدم بصورة ظاهرة اليوم بنفس المرونة وبتسميات عديدة معاصرة. وكان يتميز بألوانه المنسجمة مع لون القميص وللالوان بطبيعة الحال والمواد الأولية المستخدمة في صناعة الملابس أهمية ودور معروف يكون بحثها مكملا بشكل طبيعي للمظهر الخارجي .

وكان يتم اختيار الوان الملابس وفق مفاهيم ومعايير معينة ، فكان اللون الأبيض يدل على النقاء والطهارة ، لذا كان لون أزياء الكهنة . ومن الألوان المفضلة الأخرى اللون الأحمر باطيافه المتعددة ومنه الأحمر المائل الى الوردي والأحمر الناري. وكان البعض من رجال الدين وبعض طبقات الجيش يتخذونه لملابسهم وذلك لاعتقادهم بأنه يجلب الخسوف ويطرد الأرواح الشريرة وبعض الأمراض كالحصبة كذلك كان يتخذ غطاء لدفن الأموات وذلك اعتقادا بكونه يبعد الأذى عنهم ، فضلا عن كل مايسيء ، ويوصف اللماع من القماش الأحمر لذلك بصورة خاصة .

ومن الألوان الشائعة في العراق القديم كان اللون الأزرق وأنواعه العديدة، ومنه الأزرق الغامق والأزرق البنفسجي والأرجواني، ومصادره المعروفة كانت من ا لمعادن والأحجار وخاصة حجر اللازورد. ومن مصادره النباتية صبغة النيلج او النيلة اوصبغ النيل، حيث كان يتم استخلاص عصارة النبات الطبيعية، وهي ذات لون أخضر في أول الأمر وبعملية التأكسد تصبح زرقاء غامقة[٣٤].

وعرف اللون الارجواني بأطيافه العديدة وكانت من مصادره الرئيسية القواقع البحرية، وتكون العصارة المستخرجة منها جيدة جدا وتثبت لمدة طويلة على الملابس. ولقد عرف العراقيون القدماء مصادر أخرى معدنية لهذا اللون وذلك لندرة الحصول عليه دائما من القواقع. والمعروف ان استخدامه كان مقتصرا تقريبا على الشخصيات الكبيرة واعتبر لذلك لونا مقدسا ورمزا للقوة والسلطان ورمزا للآلوهية ورمزا للعوائل المتسلسلة من أصول نبيلة ولازال حتى اليوم واحدا من الألوان المستخدمة من قبل الطبقات الكهنوتية العليا.

واستخدم اللون الأصفر ايضا، ولكن على نطاق ضيق واستخرج اللون من نبات الزعفران والكركم وثمار شجر الرمان.

ولصبغ الشعر استخدمت صبغة اللون الأصفر وبأطياف واستخدم لذلك نبات البابونك المخلوط مع ماء الورد والشب مادة مثبتة، وكان اللون الأصفر رمزا للحكمة وهو لون الذهب، وأحب العرب الملابس الصفر للمرأة.

استخدمت أيضا الوان أخرى كالأسود والأخضر ولم يكن اللون الأسود رمزا للحزن كما هو معروف عند الناس اليوم، وكان اللون البنفسجي هو الذي يرمز للحزن والموت، والحال نفسه عند اليونان، واستخدمت ألوان أخرى كانت مصادرها معدنية وحيوانية ونباتية، وكانت مادة الشب مستخدمة على نطاق واسع لتثبيت هذه الألوان على الأنسجة، كذلك استخدمت انواع من الأملاح لنفس الغرض ومنها أملاح الحديد والنحاس وأنواع من الحوامض والاوكسيدات[٣٥].

٤ – صناعة الجلود:

لم يقتصر اهتمام اقتصادي وادي الرافدين القدماء على تربية الأغنام والماشية فقط، وانما نلمس اهتماما خاصاً بتربية الماعز بأنواعه المختلفة، فقد كّرس السكان جهودهم وبشكل مستمر وعميق للرعي وتربية الحيوانات ولا عجب في ذلك، فالمنطقة كانت زراعية بالدرجة الاولى، وقد عرف هؤلاء استغلال الماشية معرفة جيدة فاتخذوا من أصوافها مادة أولية في صناعة الملابس وغيرها، كما وفرّت جلودها مادة أولية مهمة للعديد من الصناعات واستخدمت هذه المادة الجلدية في صناعة قطع من الملابس لاكمال المظهر الخارجي. وقد استخدمت جلود الحيوانات في صناعة الملابس والاحذية والعدد الحربية من خوذ وحمالات اسلحة وجعاب سهام، كذلك استخدمت هذه الجلود في صناعة وعمل أجزاء غير قليلة من عدة النوم وكغلاف وقائي وجمالي لبعض العربات سواء الحربية منها او المعدة للتنقلات الملكية في حالات السلم، كذلك استخدمت مادة الجلد غلافا وزينة لبوابات الدور وسجاجيد، فضلا عن استخدامها أواني لأنواع عديدة من الأطعمة والمشروبات مثل القرب والأكياس وحتى العلب المستخدمة في حفظ المواد الثمينة او غيرها، كذلك كانت مادة الجلد تعد المادة الأولية الرئيسية في صناعة وعمل عدة الخيول[٣٦] والحمير والبغال من أعنقة وسروج وسياط، اضافة الى استخدام المادة هذه في صناعة اجزاء من القوارب والعربات وتدخل نفس المادة في صناعة الآلات الموسيقية كأوتار القيثارات والأجزاء الرئيسة في صنع (الدمامات) والطبول والدفوف[٣٧].. واستخدم الصاغة هذه المادة في عمل المنافخ الخاصة لرفع درجة وقوة النار المستخدمة في التصهير.



ومن القوائم اللغوية التي ثبتها علماء المسماريات ذكر لانواع الحيوانات التي استخدمت جلودها في صناعات مختلفة ، ومن هذه ، جلود الخنازير والجمال والاسود وحتى جلود القطط والكلاب والحمير والبغال [٣٨] .

ان معاملة واشتغال جلود الحيوانات المذكورة أنواعها في وادي الرافدين القديم وفي مرحلتها الاولى بالذات كانت تتم بنزع الجلد عن الحيوان ، ويظهر ان عملية نزع جلد الحيوان كانت تتم بطريقتين : الاولى : نزع الجلد مع غطائه سواء كان من الصوف او الشعر، والثانية : كانت تتم بنزع الصوف او الشعر من جلد الحيوان قبل فصل الجلد عنه ولكلتا الطريقتين استعمالاتها الخاصة .

طريقة معالجة جلود الحيوانات :

الدباغة والصياغة :

يراد بالدباغة هنا تحويل جلد الحيوان المنزوع الى مادة غير متعفنة ومتماسكة وقليلة المسامات وبالنتيجة نحصل على مادة نسميها الجلد. ومن طرق الدباغة المذكورة في النصوص المسمارية ترك الجلد المسلوخ في حوض من الماء للسماح للبكتريا المتوفرة ان تمارس فعالياتها اما طبيعياً او بنوعية الماء والمواد الموضوعة فيه فتختلف حسب نوعية الجلد الذي يرغب في الحصول عليه [٣٩] .

وبالنسبة لدباغة الجلود غير المنزوعة الصوف او الشعر بعد فانها كانت تشبع بمحلول دهني ، ثم تضرب بالعصي او بواسطة أخرى ليتم ادخال الأجزاء الدهنية في اجزاء الجلد ومساماته ، ثم تنزع كل الشوائب من الجلد : الشعر او الصوف وبقايا اللحم ....

تشير النصوص المسمارية ايضا الى الأشخاص المتخصصين في كل مرحلة من مراحل العمليات السابقة ، اما المتخصصون في صناعة الجلود على اختلاف مراحلها في اللغة الأكدية فهم ashkappe واللفظ مأخوذ من اللغة السومرية ASHGAB وقد انتقلت الكلمة الى لغتنا على هيئة اسكافي ، ويعرف هؤلاء المتخصصون حسب نصوص الكتابات المسمارية منذ منتصف الالف الثالث ق م .

ان هؤلاء المتخصصين اي الـ ashkappe ، فضلا عن قيامهم غالبا بانجاز كافة مراحل تحضير الجلد ، من دباغة وتلوين كانت نوكل اليهم ايضا مهمة صناعته ، وخاصة في عمل الأحذية [٤٠] . نفهم ان عملية الدبغ المعروفة والمدونة في أحد النصوص الآشررية كانت تستلزم استعمالا لمادة العفص والجيد منه المستورد من تركيا ، من مناطق الحيثيين ، والواقع ان الحيثيين اشتهروا بهذه المادة التي استخدمها الآشوريون في الدباغة على نطاق واسع ، كذلك اشتهروا بتصديرهم لمادة الشب المستخدم كذلك في الدباغة ، ومما تذكره النصوص الآشورية في كيفية استخدام العفص مادة دابغة ، وتعرف من هذه النصوص ان بقرة ذبحت لاكمال طقس ديني ولاستخدام جلدها بعد ذلك لعمل طبل خاص يستخدم في الاحتفالات الدينية [٤١] .

لقد استخدمت مادة الشب gabû على نطاق واسع من قبل المتخصصين بالدباغة في وادي الرافدين القديم ، اما فائدة هذه المادة في هذا الحقل من الصناعة فكانت للحيلولة دون تعفن الجلد وفساده ، وهكذا يلعب الشب دورا لايقل اهمية عن دور مادة العفص في دباغة الجلد. وتأكيد دباغي وادي الرافدين القدماء على استخدامهم لمادة الشب يستلزم معرفتهم لعملية ضمن مراحل الدباغة ينتج عنها الحصول على جلد رقيق وناعم ولين ، ويتم ذلك بمعاملة الجلد بمسحوق الشب المحلول بالماء بعد تنظيفه وينتج عن ذلك تلون المحلول بلون خفيف ويحصل على جلد جيد ، ناعم ورقيق ولّين طالما يبقى الشب متداخلا في مساماته [٤٢] .



بعد عرضنا لما هو متوفر من طرق مختلفة ومواد متعددة استلزم استخدامها لدبغ الجلود على أنواعها في وادي الرافدين القديم نأتي على ذكر الطرق المختلفة المستخدمة في تلوين الجلد، والمعروف أنه حتى اليوم في مناطق الشرق الأوسط يستخدم لحاء بعض ثمار الأشجار وأوراق نبات السماق وبشكل خاص في مناطق شمال العراق وسوريا في تلوين الجلد، وعرف "السماق" من قبل الآشوريين تحت كلمة spiru، ويمكن تقريب هذه الكلمة من الكلمة العربية صفّر الشيء أى جعله أصفر اللون[٤٣].

ان الصبغة المستحضرة من نبات السماق تستخدم في تلوين جلود الحيوانات المدبوغة، وكذلك استخدمت لتلوين الأقمشة، وتؤكد لنا النصوص المسمارية من الفترة الآشورية ان الآشوريين استخدموا هذه المادة في تلوين الجلود والأقمشة، ومازال استخدام هذه المادة حتى اليوم لنفس الغرض في شمال العراق وتركيا بشكل خاص[٤٤].

وقد بحث أحد النصوص، وهو عبارة عن عقد عثر عليه في مدينة كركميش في سوريا تجهيز الآشوريين بمادة السماق والعفص، وذلك لاستخدامها في صناعة الدباغة، وكان طرف العقد الآخر هم جماعة من الأرمن من منطقة ميتاني[٤٥].

لقد اشتهر الآشوريون والبابليون في الواقع بانتاجهم للجلود ذات الألوان البراقة التي انجزت لشغلها في مواضيع عديدة، ولقد اشتهر بشكل خاص نوع سمي دوشو dushû، وهو يرمز للمعان الشمس ووهجها[٤٦]، ومعنى الكلمة في الأصل هو "البلور الصخري"[٤٧]. وتعني الكلمة ايضا أحد الوان الجلد المأخوذ من العنزة Parutu، ويراد به لون الرخام الأبيض وهو نوع من الجلود المدبوغة والمصبوغة، وتعني الكلمة ايضا dushu حسب ورودها في النصوص الخاصة بالملوك الآشوريين تجلا تبليزر الاول - آشور ناصر بال الثاني وشيلمنصر الثالث «جلود حيوانات منفوخة تستخدم في صناعة الأكلاك للنقل البحري»[٤٨].

الحرفيون المختصون بالدباغة :

كّون الدباغون فيما بينهم نوعا من التجمع يشبه مانسميه اليوم نقابة، وكانوا يعيشون في تجمعات سكنية خاصة بهم، كذلك الحال بالنسبة لمحلات شغلهم[٤٨]، وعندنا التعبير في الأكدية المشير الى المكان المخصص لسكنى الدباغين وهو âl (bit) sha (amêl) ashkappé[٤٩].

والمعروف ان هناك سببين رئيسيين أديا الى ان يتجمع هؤلاء الدباغون في محل واحد: الأول: طبيعة عملهم التي تستلزم الاشتغال في امكنة متقاربة، والثاني: هو التقليد المتبع في تجمع اصحاب حرفة واحدة وممارستها في محلة واحدة او اكثر في نفس المدينة، وهو تقليد معروف في عالم الحضارات القديمة، وبشكل خاص في وادي الرافدين ومصر وفلسطين وآسيا الصغرى وايران، ومازال جاريا بوضوح بشكل نسبي حتى يومنا هذا.

اما عن مكانة الدباغين من الناحية الاجتماعية، فيبدو أنهم والاسكافيين أو الخفافين كانوا من المميزين في المجتمع البابلي ومثلهم اصحاب حرف اخرى معروفة كالنساجين، ونعرف ان حمورابي نفسه ثبت في قانونه الشهير اجور الدباغين والنساجين[٥٠].

٥- صناعة الأحذية :

تتوفر لدينا العديد من الرقم الطينية التي تذكر بشكل واضح استعمالات الأحذية (الصنادل)، كذلك تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من المنحوتات[٥١] التي تعرض تفاصيلها أحذية متنوعة في أرجل الأشخاص الممثلين على هذه المنحوتات، وتعكس تفاصيل الأحذية ونوعيتها



والطبقة التي ينتمي اليها ذلك الفرد سواء كان من الالهة او الملوك او الجنود او الأجانب او العبيد[٥٢].

ومن ناحية صناعة الأحذية نعرف انها كانت احدى الدعامات الرئيسة في الصناعة الجلدية ليس فقط في وادي الرافدين وانما في كل حضارات الشرق الأوسط القديم[٥٣].

ونعرف ان جل الاهتمام المكرس في صناعتها كان لاستخدامها من قبل الطبقة البرجوازية، ومنهم قادة الجيوش وأصحاب المراتب العليا وكذلك الكهنة الكبار.

استخدم سكان وادي الرافدين كعبا اضافيا اضيف الى النعل الرئيسي المسطح، وميّز هؤلاء عن اليهود ذوى الأحذية المغلوقة على كل القدم، وتصل الى مافوق الكاحل ايضا، ونرى نماذج احذيتهم واضحة في مسلة الملك الآشوري شيلمنصر الثالث والمحفوظة اليوم في المتحف البريطاني[٥٤].

إن أحذية الآشوريين التي نراها على الكثير من المنحوتات البارزة منحوتة بشكل جانبي بطريقة نرى بها بوضوح النعل والأجزاء الجانبية والكعب وحتى الأشرطة التي تكون على شكل حلقة يمر بها أصبع القدم الكبير وتمر بمحاذاة كعب القدم وتشد بعد ذلك من الخلف او الجانب على شكل عقدة.

والواقع ان الحلقة الجلدية التي يمرر بها أصبع القدم الكبير ظهرت في عصر متأخر كذلك الثقوب المعمولة لمرور الأشرطة وتوضع فوق كعب القدم على هيئة حلقتين لامرار الأشرطة، والحلقة الجلدية التي يمرر فيها اصبع القدم الكبيرة تكون أحيانا مزينة بقطعة من المعدن الثمين[٥٥].

وفضلا عن الأحذية (والصندلات) عرف سكان وادي الرافدين القدماء الحذاء الطويل العالي الذي يصل الى أسفل الركبتين وهو مانسميه اليوم (بالبوتين) القصير منه والذي انتشر استخدامه بنحو خاص من قبل الفرسان المحاربين من الآشوريين وتحت هذا النوع من (البوتين) كان هؤلاء الفرسان يلبسون الجوارب المشدودة الى اعلى الساق بشريط[٥٦]. إنّ الجزء الامامي من البوتين مربوط الى القدم والساق بواسطة شرائط دقيقة وغير سميكة. ان انتشار هذا النوع من الأحذية عند الآشوريين بشكل خاص - كان لسهولة السير به - في المناطق الجبلية.

كذلك نعرف عن تقليعة جديدة ظهرت في عصر آشور بانيبال(٦٦٨- ٦٢٦ق. م) الملك المثقف والمحارب الجيد، والتقليعة هذه تتلخص في عمل حذاء ذي نعل رقيق وخاصة في الجانب الخلفي من القدم، ويغطي جلد الحذاء من خلف القدم وجانبيه الخلفيين ايضا، وتمرر الأشرطة التي تشد الحذاء الى القدم من ثقوب نفس الجلد ويجعل لها حلقات معدنية للتقوية وتشد على شكل عقدة على جانب القدم.

اما الحذاء الآشوري الاعتيادي فهو عبارة عن (صندل) (يسمى باللغة الاكدية نعل naûl المشابهة للفظ العربي المستعمل لنفس الشيء) ذي نعل رقيق وكعب واطئ مصنوع من عدة طبقات من أشرطة جلدية عريضة[٥٧].

اما الأحذية بأنواعها المختلفة فقد كانت في زمن الملك الآشوري سنحاريب(٧٠٥- ٦٨١ ق. م) أقل دقة ورشاقة ومتانة مما اصبحت عليه في زمن الملك آشور بانيبال على الرغم من كون العناصر المكملة والمزينة لها أكثر وأغرز وخاصة الزينة المعمولة على شكل وردات والأشرطة المجملة للأحذية من الأمام[٥٨].

اما عن تلوين الأحذية بشكل عام فقد ابدع الآشوريون والبابليون في ذلك وخاصة في استخدامهم للألوان البراقة في تلوين جلود الأحذية وتزيينها بالقطع المعدنية الثمينة والاحجار



الكريمة وتطريزها بخيوط مصنوعة من جلد الماعز المدبوغ [٥٩].

كذلك استخدموا الأشرطة الملونة في تزيين العدة الحربية المصنوعة من الجلد وخاصة اشرطة الأحذية الحربية الطويلة.

ان الألوان المتبقية على اجزاء المنحوتات البارزة الآشورية تؤكد لنا أن أحذية الملوك الآشوريين كانت تصنع من الجلد الملون بالألوان المتعددة والمنسقة لاخراج الحذاء الواحد بشكل منسجم، ومنحوتات مدينة خرصباد (دور- شروكين) تثبت لنا هذه التقليعة [٦٠] وبعض الأحيان وجد ان جلد الصندل الواحد والأشرطة المكملة له ملونة بلون واحد وهو اللون الأحمر.

وفضلاً عن مصادرنا في هذا الموضوع من الوثائق الشاخصة، من المنحوتات وغيرها من البقايا الاثرية، فاننا نجد في النصوص المكتوبة بالكتابات المسمارية مفردات عديدة تعني ملحقات مكملة منها ضرورية لشد الحذاء الى القدم، ومنها ملحقات كمالية جعلت للزينة والقصد منها الظهور بمظهر العظمة والبذخ.

وأخيرا نقول بأن دبغ الجلود في وادي الرافدين واستغلاله بشكل واسع يؤكد لنا وحدة وتكامل الصناعة الواحدة مما يميز هذه الصناعة بالذات، وكذلك الصناعات والمهن الأخرى عما نجده في بقية الحضارات المعاصرة.

هذه الوحدة والتكامل جاءت نتيجة الحاجة الى تبديل وتطوير المواد الأولية منذ وجود الجلد على الحيوان وهو حي الى استغلاله في صناعة كاملة. وهذا التطور حدث ايضا نتيجة لتوفر النوعية الجيدة والمتنوعة من الحيوانات ومن الجلود.

٦- صناعة المعادن:

كان توصل العراقيين القدماء واهتداؤهم الى تصنيع معدن النحاس واحدا من المعالم الصناعية والفكرية الكبيرة، ويتضمن تصنيعه مالا يقل عن اربعة معارف تصنيعية هي عملية طرقه وعملية اذابته وعملية استخلاصه من المعدن الخام، ثم معرفة مزجه بمعدن آخر، والعملية الأخيرة تعد بحد ذاتها طفرة نوعية في تصنيع المعادن بشكل عام. وتصنيع معدن النحاس بشكل خاص ومرونة النحاس وليونته في الصناعة كانت خطوة كبيرة في استخدامه بديلا عن الأدوات الحربية في كل العالم، وأصبح استخدام النحاس في صناعة الأدوات شائعا، وظهرت طبقة صناعية تتمتع بمستويات تقنية وفنية وأصبحت اشكال الالآت والأدوات متنوعة وتزداد بازدياد الحاجة وبتوسع الاقتصاديات الزراعية، وكان هذا التطور الصناعي والعلمي الجديد واحدا من العوامل الرئيسية لانتقال التجمعات السكانية في العراق والعالم من مجتمع القرية الى مجتمع المدينة [٦١].

وكان اهتداء الانسان الى هذا المعدن قد جعل المتخصصين يسمونه بعصر النحاس ثم تلاه عصر آخر سمي عصر البرونز.

وتتوضح أهمية توفير المعادن لدى العراقيين من زيادة الاتجار به على نطاق واسع جدا.

ومن اجل الحصول على معدن اقوى من النحاس عرف خلطه مع معادن أخرى فتصهر بدرجات أدنى كثيرا من درجة انصهار النحاس، ومن ذلك الرصاص ٣٢٥ درجة مئوية والقصدير ٢٣٢ درجة مئوية.

والبرونز هو خليط من نسبة عالية من النحاس ومعادن أخرى من الرصاص والانتيموان او الزرنيخ [٦٢] الآ ان خليط النحاس مع القصدير يعد اجود الأنواع. وفي حالات فقد مزجوا ٩٨٪ من النحاس وحوالي ١٪ من القصدير وحبات قليلة من النيكل او الحديد يمكن ان تكون مصنوعة من



البرونز كليا. ويرى البعض في نسبة القصدير والنيكل والحديد بأنها شوائب بينما يرى بعض آخر بأن خلو مايقل عن ٢ ٪ طبيعيا، وكان العراقيون يسمون القصدير والرصاص تحت لفظة أناكو anâku ولكن تميز الرصاص في معظم النصوص تحت الاصطلاح ابارو abâru و ashgiku.

والجدير بالملاحظة ان نسبة خلط القصدير مع معدن النحاس لجعله قويا ظلّت متقاربة ولا تتجاوز في متوسط الحد الأعلى العشرة بالمائة(٦٣)، على الرغم من تحليل قطع عديدة من المصنوعات البرونزية من فترة النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد، وجد ان نسبة القصدير فيها كان حوالي ٢ ٪(٦٤).

وتعد عملية خلط النحاس مع القصدير هي المفضلة، وبالتجربة العملية توصلت الجماعات المتخصصة الى عصر جديد اطلق عليه عصر البرونز.

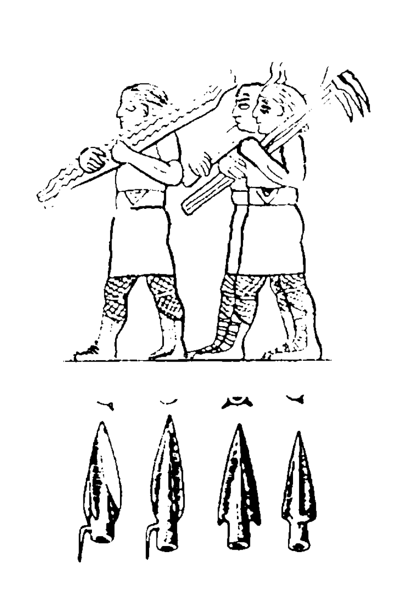
اما بالنسبة لمعدن الحديد وتاريخه ومصادره، فمن المعروف ان سطح الكرة الأرضية يتشكل من ٤ ٪ - ٥ ٪ من الحديد، وهو بهذه النسبة التي تبدو كبيرة جدا على شكل خليط مع الصخور، ويكون على شكل فلزات، ومنها أكاسيد الحديد والهياتيت وهو خام الحديد الأحمر والليمونيت، وهو اوكسيد الحديد المائي الاصفر والمغنيت وهو اوكسيد الحديد المغناطيسي وفحمات الحديد الطبيعية.

ويستخلص الحديد من مادته الخام بنفس الأسلوب الكيمياوي الذي يستخلص به النحاس وغيره من المعادن وذلك بالتعريض للحرارة بواسطة الحطب والفحم. وعملية الاستخلاص هذه تترك الحديد كتلة غير متراصة يستلزم اجراء عملية تنقيتها بالطرق المتواصل، وليس صب الحديد من العمليات السهلة مثل تلك التي تحدث للنحاس والبرونز بواسطة القالب وعلى الصنّاع المهرة صهر الحديد وقولبته بالطرق. وتلك عملية تستلزم قدرة ومهارة كبيرتين.

والمصدر الآخر للحديد هو من النيازك التي تهوى احيانا على الارض وتتألف في معظمها من الحديد.

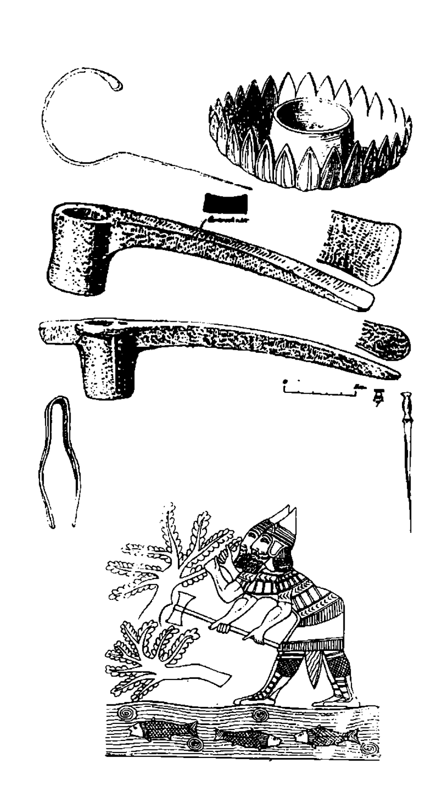
ولقد عرف العراقيون الحديد وأولوه اهتماما كبيرا، وذكره باللغة السومرية دليل واضح على عمق معرفتهم به منذ فترة حوالي الألف الثالث قبل الميلاد وذكروه بالاصطلاح آن- بار -AN) (BAR وتعني كلمة آن السماء وبار تعني الحديد ويترجم الاصطلاح معدن السماء او المعدن - النيزك وسموه ايضا بالمعدن المعظم، كان قد عرف من مصادره الطبيعية في جبال طوروس وفي ارمينيا منذ الألف الثالث قبل الميلاد وعرفت تجارته منذ الألف الثاني قبل الميلاد. درجة انصهار الحديد ١٥٣٠ درجة مئوية (سنتغراد) وتزيد على درجة انصهار النحاس بحوالي ٥٠٠ درجة، فهل كان من الممكن ايصال الحرارة عند السومريين قبل خمسة آلاف سنة من الآن وهل كان شيوع استخدام الحديد المتأخر نسبيا راجعا الى هذا السبب ام بسبب ندرة حصوله في العراق، وقد يكون السببان هما الأكثر قبولا، والمعروف انه كان يكفي لصهر طن واحد من الحديد الخام ثمانية اطنان من الفحم. ويثبت ماتذهب اليه تأخر شيوع استخدام الحديد الى فترة حوالي بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد اتجاه معظم البحوث العلمية للمتخصصين في الآثار واللغات القديمة الى ان شيوع استخدام الحديد في الصناعة كانت بدايته من فترة النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وكان الآشوريون قد استخدموه على نطاق واسع ابتداءً من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومن نماذج قطع الحديد المصنع والتي تم العثور عليها في مناطق الآشوريين في شمال العراق رؤوس سهام ومطارق ومعاول وقطع مصنعة أخرى من هذا المعدن تدخل في صناعات أخرى مكملة بما في ذلك الأثاث اضافة الى العثور على مناشير تصل اطوالها الى ١,٦٥ و ١,٨٠م(٦٥).





وكانت الورشات الخاصة بصناعة الاسلحة عند الآشوريين معروفة ، ويشار اليها احيانا بوضوح وتحت تعابير مباشرة أحيانا مثل : bit kutali وفي أحيان أخرى بصورة غير مباشرة ، ومن ذلك ذكر عمليات صب المعادن وخاصة الحديد لعمل الأسلحة ، ويعرف العاملون من المتخصصين في صناعة الأسلحة sha ḫallupti – shunu وأماكن ورشاتهم المحددة في مكانين في مدينة نمرود مثلا (٦٦) .

وتشير الأدلة المادية والمدونة الى ان الحديد كان مألوفا في صناعات بعض الاسلحة الخفيفة والحلي خلال فترة القرن الرابع عشر قبل الميلاد في معظم المناطق الكائنة من مصر وسوريا من جهة والعراق وآسيا الصغرى من جهة أخرى (٦٧) . هذا فضلا عن استيراد الآشوريين لبعض الأسلحة المصنوعة من الحديد من بعض مناطق آسيا الصغرى ، ومنها الخناجر وذلك مقابل عدد وصناعات برونزية (٦٨) ، ويبدو واضحا ان الحديد المستورد من آسيا الصغرى كان من نوعية جيدة ويصفه الآشوريون بالحديد الجيد او الطيب . parzillu damqu وتصف رسائل الملوك المتبادلة بين الآشوريين والحيثيين خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد بأنه كان يستخرج في مناسبات ووفق ظروف خاصة .



ويبدو كذلك ان كميات الحديد المتوفرة قريبا من منطقة دهوك الحالية لم تكن كافية للصناعة الآشورية ، وكانت عملية تسهيل حصول الآشوريين على كميات كبيرة من خلال الاورارتين مألوفة (٦٩) ، فضلا عما كانوا يحصلون عليه من كميات كبيرة أخرى من منطقة ديار بكر (خانيكلبات) (٧٠) كمعدن خاص من هذه المنطقة والمناطق المجاورة التي كانوا يسيطرون عليها .

اما المعدنان النبيلان الذهب والفضة فقد عرفها العراقيون القدماء منذ العصر الحجري

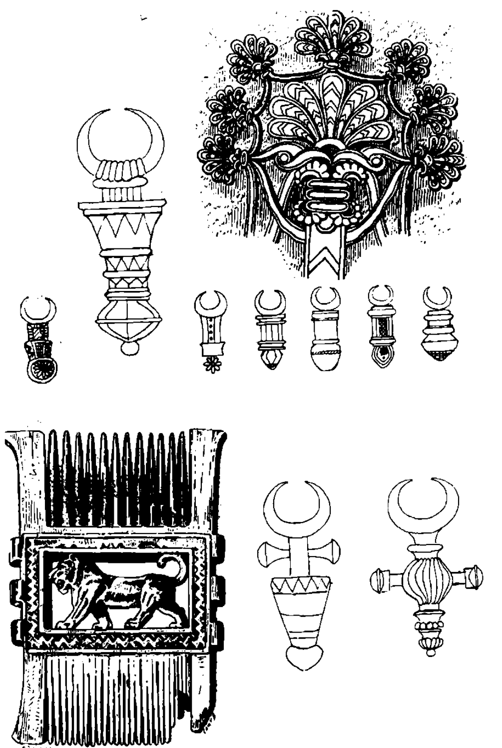


الحديث ، ولكنها لم يتوازيا بما يوازي أهميتها الا من بداية شيوع استخدام المعادن والتطور الحضاري الكبير في بداية العصور التاريخية[٧١] . وامكن استخدام المعدنين مقياسا لتقويم الأشياء وذلك من خلال تحديد الكمية بوحدات الوزن التي اوجدوها ومنها الشيقل الذي يساوي حوالي ثمانية غرامات ونصف (من اوزاننا الحالية) ولقد ظلّت وحدة القياس من الفضة بهذا الوزن لفترة تزيد على الثلاثة آلاف عام وعرفت لفظة مثقال في العربية لتشير الى نفس الاشتقاق اللغوى.

وفي الحقيقة فقد كان استخدام الفضة والذهب في العراق القديم والعصور اللاحقة شائعا بصورة مبالغ فيها ايضا ، فضلا عن استخدامها في صناعة بعض الاسلحة الخاصة من استخدامات الملوك وبعض افراد الطبقة الحاكمة فقد كانا يستخدمان في صناعات عديدة منها الالآت والادوات الموسيقية ، وأكثر من ذلك كله في صناعة التماثيل الخاصة بالالهة والملوك ، وكانت تخصص لمثل هذه الصناعة كميات كبيرة من الذهب والفضة ، وتشير الكتابات المدونة من قبل السومريين والبابليين والآشوريين الى اهتمام الملوك بعمل نماذج من صورهم من الذهب والفضة ومحتويات من هذه الرسائل توضح مدى الاهتمام الظاهر بمتابعة العمليات المتخصصة بالصهر والخلط وصب القوالب وحفظ المواد المعدة لاجراء العمليات هذه.

وفي الحقيقة كانت كميات الذهب والفضة تدخل في عمليات أخرى خاصة بزينة القصور والمعابد والأثاث المزينة في داخلها سواء كانت بعض الكراسي والفرش او الاعمدة وبعض الواجهات وخاصة اجزاء في مداخلها. وتشير الى تفاصيل ذلك رسائل عديدة مع ذكر المتخصصين اللازمين لانجاز مثل هذه الأعمال وذكر اسمائهم[٧٢] ومن هؤلاء الفنان Ashur beltakkin و Arad Nabu[٧٣] مثلا.

وعن تفاصيل ومراحل التنقيات الخاصة بانجاز اعمال الصب لصناعة الزينة من الذهب في العقود الآشورية من الفترات الحديثة تتوفر رسائل عديدة عن ذلك مع ذكر المتخصصين لانجاز العمليات ايضاً ، ومن ذلك مايرد في رسائل نمورية عديدة[٧٤] .

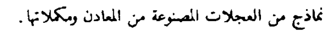


نماذج من الحلي الاشورية منها مشط خشبي



كذلك كانت انتاجات الصناعة من العراقيين القدماء معروفة في تصنيع الذهب والفضة لانتاج الحلي بأنواعها المختلفة ، سواء تلك المزينة لرؤوس الرجال والنساء او عبيدهم ومعاصمهم وملابسهم .

وكانت صناعة هذه الحلي مألوفة وشائعة بين الأحياء والأموات ، وكان الأخيرون يتزينون بها قبل اجراء عملية الدفن ونعثر باستمرار خلال التنقيبات على نماذج من المصوغات الذهبية على شكل اوراق نباتية ومعاضد وأساور وقلائد بعضها تزين الجبين والرأس .


نماذج من العجلات المصنوعة من المعادن ومكملاتها.

وأشتهرت الملابس المزينة بقطع من الذهب على شكل وردات ودوائر وقطع عديدة متنوعة تبدو اشكالها على المنحوتات، وقسم منها تم العثور عليه خلال التنقيبات وتفاصيل صناعة معظم مثل هذه الحلي يرد وصفه وصناعته في الكتابات المسمارية، ومما يرد في الأخيرة تكريس ٧٠٠ وردة من الذهب بلغ وزنها على الثوب حوالي أحد عشر كيلو غراما ونصف(٧٥)، كذلك استخدمت الخيوط المعدنية سداة ولحمة النسيج، وتعمل أحيانا هدب الملابس من الذهب او تعمل نهاياتها على أشكال تزينية مختلفة من المعادن الثمينة وبالذات من الذهب(٧٦)، ولقد انتشرت صناعة هذه الحلي والملابس المسماة أحيانا بالملابس الذهبية او المذهبة في العصور اللاحقة وعرفت بين أهل الحضر وسكان الحواضر الاسلامية والعربية، ولا زلنا نتفاخر نحن المعاصرين بها ونتخذ من الذهب والفضة رموزا لليسر الاقتصادي والأبهة الاجتماعية.

الهوامش:

(١) هـ. ساكز، عظمة بابل، لندن ١٩٦٤، ترجمة: عامر سليمان، ص ٢٩.

(٢) Forbes, R.J., Studies in Ancient Technology, Leiden — Brill, Vol. III 1955, pp. 146 — 48

(٣) CAD, Vol.6, pp. 137 — 38

(٤) Forbes, Op. cit, p.7

(٥) Ibid, p.8

(٦) Speiser, E.A. Excavations at Tepe Gowra, Vol. I, Levels 1 — VIII University of pennsylvania Press PhiLadelphia 1935

(٧) العراق القديم، تأليف جماعة من علماء الآثار السوفييت، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد، سلسلة الكتب المترجمة (٢٨) ١٩٧٦، ص ٦١.

(٨) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٢، ص ١٣٣، ١٤٠.

(٩) Garell, p. Les Assyriens En Cappadoce, Bibliothèque archeologique et historique de L'Institut Francais d'Archeologie d'Istanbul — Paris 1963

(١٠) الحرف والصناعات ص ١٤٨.
Van Dijk, J.J. A. La Sagesse Sumero — accadienne Leiden, 1953, p.65

(١١) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر، بغداد مطبعة الاديب ١٩٧٢. ص ٩٨ — ٩٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٠٦ — ١٠٩.

(١٤) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدية في العصر الآشوري المتأخر، ص ٢٣٢، الملابس الشعبية في العراق، بغداد، وزارة الاعلام، ١٩٧٠.

(١٥) Eiko Matsushima — Toyama e Lit de shamash et le Rituel du Mariage ā L' Ebabar in: Acta Sumerologica No.7 1985

(١٦) Journal of Cuniform Studies, New Haven IV (1950) p. 191
Vorder Asiatische Schrittdenkmäler (= VAS) 6 1: 4

(١٧) CAD, A, p.152.

(١٨) من الاصطلاحات هذه (زارات — Za — rat) وزارتو ورد في نصوص كثيرة في العراق القديم، انظر للتوسع:
CAD Jcs xxl
p. 66.

(١٩) انظر في مجالات التأثير العراقي القديم على فنون الأقوام الأخرى وما صاحب ذلك في تأثيرات فكرية وحضارية أخرى:
Ghirshman, R., Parthes et Sassenides, Paris 1962,
--------, Les Achĕmĕnides, Paris 1963
وليد الجادر، الحرف والصناعات، ص ١٢ — ١٣.

(٢٠) CAD ... VIII, p. 255. IV, 346a
Revue d' Assyriologie et d' Arch. xxxvl p. 204
ساكز. هـ. عظمة بابل، ترجمة: عامر سليمان ابراهيم، ط ٢، لندن ١٩٦٢، الترجمة العربية، الموصل ١٩٧٩، ص ٥٤٤٣.

(٢١) الحرف والصناعات، ص ٣٢٥.

(٢٢) Pausanias, Liv V ch.xII

(٢٣) Griffin, G. Lewis. The Practical Book of Oriental Rugs. 5 edition 1920, p. 75..

(٢٤) انظر في احدث الدراسات المتخصصة عن أشكال الشجرة المقدسة ومفاهيمها في العراق القديم:
Christine Kepinski: L' Arbre Stylise en Asie occidentale au 2 Millenaive avant J. C. edit. Recherche Sur Les Civilisations Paris 1982
Tariq MadhLoom "Types of Trees". In Sumer Vol. xxvl (1970) p 137 — 42

(٢٥) Cassin, E. La Splendeur divine. Introduction ã Lẽ tude dela mentalite mesopotamieaae Paris. Lahaye 1968

ايضا مجلة سومر، مجلد ٢٤ (١٩٦٨).

(٢٦) رضا جواد الهاشمي ، "القانون والأحوال الشخصية" في موسوعة حضارة العراق ، الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٦٣ – ١٠٨.

(٢٧) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، بغداد ، مطبعة الأديب ، ١٩٧٢.

(٢٨) الحرف والصناعات اليدوية ،....

(٢٩) وليد الجادر وضياء العزاوي ، الملابس والحلي عند الآشوريين ، بغداد ١٩٧٠.

(٣٠) Cassin, E. La Splendeur

وجلة سومر، العدد ٢٤ (١٩٦٨) ص ٢٣١ – ٢٣٤.

Oppenheim, L. "The Golden Garments of the Gods" In Journal of Near Eastern Studies. VIII. (1949).

(٣١) وليد الجادر وضياء العزاوي ، الملابس والحلي عند الآشوريين ، كذلك انظر:

(٣٢) "الأزياء والأثاث" في موسوعة حضارة العراق ، ج ٤ ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣.

(٣٣) كان الحزام ولازال رمزا للستر وحل الحزام يعني اشارة ودعوة وتمهيد لعلاقات خاصة.

(٣٤) عن المزيد من التفاصيل الخاصة باستخراج هذا اللون. الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، ص ١٧١.

(٣٥) Forbes, R.J. Studies in Ancient Technology. III, Leiden 1956.

(٣٦) من المنحوتات الآشورية البارزة نرى بوضوح العديد من الخيول الملكية وخيول القواد الآشوريين من الفرسان ونلمس بنحو جيد الاهتمام الكبير في اظهار هذه الخيول بشكل مترف ومميز ومن ذلك اعنة الخيول بتفاصيلها والقطع المعدنية والصدفية المزينة للاشرطة الجلدية المكونة لجزء كبير من زينة الخيول هذه.
ان مايمكن رؤيته من هذه التفاصيل يشهد بأن صناعة الجلود عند الآشوريين قد بلغت مرحلة ممتازة من التطور. فالعنان والنير ومقبضه كانت تقوى بشريط جلدي ايضا او بشريط معدني. ونعرف من بقايا الوان المنحوتات الآشورية البارزة ان الشرائط المصنوعة من الجلد لأعنة بعض الخيول الملكية كانت ملونة باللون الأحمر: انظر Gosse. H. Assyria, p. 234
كذلك كانت مادة الجلد المادة الرئيسة في صناعة سروج الخيول ، اضافة الى الاقمشة وكان السرج بدوره يزين بتحليات على أشكال زهرات بأحجام وبفروع متعددة.

(٣٧) Grawford: Sumerian Economic Texts from the First Dynasty of Esin, 1954, text no. 206

(٣٨) انظر المصادر التي تذكر عن استخدام جلود هذه الحيوانات من قبل حرفيي وادي الرافدين المختصين بصناعة الجلود وذلك في أسفل ص ١٩٤ ، من نفس العدد من سومر.

(٣٩) انظر: سومر، ص ١٩٥ ، ملاحظة ٢٠.

(٤٠) سومر، ص ١٩٥ ، ملاحظة ٢٢.

(٤١) Thureau— Dangin: Rituels accadiens. Paris, 1921, p.21

(٤٢) عرف دباغو سكان وادي الرافدين القدماء انواعا عديدة من الشب كانت غالبيتها تستورد من وادى النيل بشكل خاص. انظر تسميات الشب في اللغة السومرية والأكدية واستيراده من مصر القديمة في سومر: نفس العدد، ص ١٩٦ ، ملاحظة ٢٥.

(٤٣) انظر مرادفات الكلمة واستخدامها في الملاحظات المذكورة في مجلة سومر، نفس العدد، ص ١٩٦ ، ملاحظة ٢٦.

(٤٤) Post, G. E. Flor of Syria and Palestine I. 285

(٤٥) Olmstead, A. T. History of Assyria, Chicago 1925, p. 560.

(٤٦) انظر المصدر في نفس العدد من سومر، ص ١٩٧ ، ملاحظة ٣٠.

(٤٧) انظر المصدر في نفس العدد من سومر، ص ١٩٧ ، ملاحظة ٣١.

(٤٨) نفس المصدر، ص ١٩٧ ، ملاحظة ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩.

(٤٩) نفس المصدر، ص ١٩٧ ، ملاحظة ٤٠.

(٥٠) Driver and Miles. The Babylonian Laws. p. 274

(٥١) Layard, H. Nineveh and its remains. II, Vols.

(٥٢) Layard, H. Monuments of Nineveh; Genouillac (H.de) "La chaussure chez Les Assyriens" in RA. VII, 4 1910, p. 157 "La chaussure Sumerienne" in RA xxxvI, 1939. p. 43— 45

(٥٣) انظر مجلة سومر، نفس العدد، ص ١٩٨ ، ملاحظة ٤٩.

(٥٤) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩ ، ملاحظة ٥٧.

(٥٥) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩ ، ملاحظة ٥٨.

(٥٦) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩ ، ملاحظة ٥٩.

(٥٧) نجد بقايا الوان مزينة لبعض المنحوتات الآشورية البارزة ، ومن هذه الألوان ماهو لأعنة الخيول المنحوتة كذلك نجد بقايا الوان مكونة من اللون الأحمر واللون الأبيض كزينة لأحذية الآشوريين، انظر سومر، نفس العدد ص ١٩٩ ، ملاحظة ٦٠.

(٥٨) سومر، نفس العدد، ص ٢٠٠ ، ملاحظة ٦١. كذلك انظر حذاء الملك آشور بانيبال المستخدم بصورة خاصة هنا مع



ملابسه لاكمال طقس ديني خاص قبل ذهابه للصيد (الشكل ٢/ أ).

(٥٩) سومر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦٢.

(٦٠) سومر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦٣.

(٦١) وليد الجادر، "صناعة التعدين"، حضارة العراق، ج ٢، (١٩٨٥) ص ٢٣٩.

(٦٢) Garelli, p. Les Assyriens En Cappadoce Paris. 1963, p. 271

(٦٣) Limert, H. Les travail du mētal au Pays de Sumer au temps de La 3e dynastie d' Ur, Paris 1960, p. 64

(٦٤) Ibid

(٦٥) Bottēro. J. "Mētallurgie" In = Dictionnarie archēologique des techniques. Il Paris 1964. p. 654 – 55.

و وليد الجادر، صناعة التعدين، حضارة العراق، ج ٢ (١٩٨٥)، ص ٢٣٩...

Maxwell – Hyslop. "Assyrian sources of Iron, Survey of the Historical and Geographical L'Age du fer Evidence In. Iraq. xxxvl. 1974. p. 143 Au Caucase Nord. Estratto Attidel VI Congresso internazionale delle Scienze Preistoriche eprotostoriche – Sezioni V – VIll, 1966, p. 88 – 89 Perrot Lantiquite p. 721 et Chipiez: Histore de Lart dans 721.

(٦٦)

(٦٧)

(٦٨)

(٦٩)

(٧٠) ونعرف خانكلبات في المصادر الآشورية طه باقر، ص ٢٦، وانهارينا في الآرامية، ودولة ميتاني في مصادر أخرى.

(٧١) وليد الجادر، "صناعة التعدين"، في حضارة العراق، جـ ٢، (١٩٨٥)، ص ٢٣٩ – ٢٦٨.

(٧٢)

(٧٣)

(٧٤) وعن اهداء الملوك الآشوريين بكيات من الذهب الى ابنائهم، انظر: المصدر نفسه، الرسائل المرقمة:
ومن الرسائل الأخرى التي كانت تخص موضوع صناعة المعادن، وخاصة الذهب والفضة من هذه الفترة المعروفة السرجونية:

(٧٥) . وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، بغداد ١٩٧٢، ص ٢٨٤.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٢٨٢.



نظام الحكم

د. علي ياسين الجبوري

مقدمة :

كان للحياة الاجتماعية في بلاد وادي الرافدين في مراحلها الأولى أثر كبير في تطور مفهوم الملكية ونظام الحكم فيما بعد، فالصراع الذي خاضه الانسان في عصوره المبكرة عندما عاش في المستوطنات المكشوفة، ثم في القرى الزراعية وما تحتاج اليه من ادارة وتنظيم لشؤون ابناء القرية، لابد ان ينتج عنه تنظيم اجتماعي واداري قادر على تسيير امور الجماعة التي عاشت في تلك المستوطنة او القرية، ولو اننا نجهل طرق ممارستها لتلك النظم.

ثم كان ظهور المعبد الذي نهض بدور مهم في وضع أسس النظام الذي أصبح فيما بعد، وكما سنرى، المركز الأساس لتنظيم الشؤون الدينية والدنيوية لدول المدن التي تطورت أساسا من القرية الزراعية.

الملكية : Sarrūtu

كان الاعتقاد السائد بين سكان بلاد وادي الرافدين أن الملكية مقرها في السماء، هبطت قبل الطوفان في مدينة اريدو ثم صعدت الى السماء في

